

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

تراثنا

عمان في فجر الاستقلال

سلطنة عمان

وزارة التراث القومي والثقافة
المكتبة

١٧٨

العدد السادس :

العدد الخامس :

تأليف

الأستاذة الدكتورة

سيّدة اسماعيل كاشف

أستاذة التاريخ الإسلامي

جامعة عين شمس - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله



لشأنه

كتاب التفاضل في الفقه

كتاب التفاضل في الفقه
كتاب التفاضل في الفقه
كتاب التفاضل في الفقه

مفتي

٨٧١

كتاب التفاضل

كتاب التفاضل في الفقه

كتاب التفاضل في الفقه

كتاب التفاضل في الفقه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم صاحب المعالي سمو الأمير
السيد فيصل بن علي بن فيصل
وزير التراث القومي والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم استفتح هذه السلسلة من السكتيات
الدورية : خطة ثقافية ، نستهدف منها تقديم الغذاء الفكري ،
والزاد الروحي للعقل العربي وللфكر العماني .

وإنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن نجد في أجداد تاريخنا الطويل ،
وفي حضارتنا الأصيلة معيناً فياضاً نستمد منه المواد العديدة
والموضوعات المختلفة في كثير من ألوان العلوم والآداب والفنون التي
تنتظمها هذه السكتيات ونعرضها ، على القارئ بأسلوب سهل يسير ،
وبصورة شائقة تبعث البهجة في النفوس والانشراح في الصدور ،
إلى جانب موضوعات أخرى تنضم بعضها إلى بعض فتغطي حاجة
الفكر من المعارف .

وإننا لنسأل الله العلي القدير أن يوفقنا في كل أعمالنا . وأن يسدد
خطانا وأن يلهمنا الرشاد ، وأن يحفظ عمان ويوفقها إلى ما فيه خير
أبنائها وخير الإنسانية في ظل حضرة صاحب العظمة السلطان قابوس
بن سعيد حفظه الله إنه سميع مجيب الدعاء .

فيصل بن علي بن فيصل
وزير التراث القومي والثقافة

الحال في الدنيا

والموت

والموت في الدنيا

والموت في الدنيا

والموت في الدنيا

والموت في الدنيا

والموت في الدنيا

والموت في الدنيا

والموت في الدنيا

والموت في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين
وعلى عباده الذين اصطفى

مقدمة الكتاب

حاولنا في هذا الكتاب الموجز تسليط الأضواء على عُمان في
فجر الإسلام ، أى في فترة لا تتجاوز القرون الثلاثة الأولى للهجرة .
وقد بينّا كيف دخل الإسلام في عمان زمن الرسول عليه الصلاة
والسلام ، وكيف أسلم العمانيون وحسّن إسلامهم ، ثم كيف واجهوا
المنافقين لدولة الإسلام التي بناها الرسول عليه الصلاة والسلام ،
وكيف قاوموا المرتدين الذين حاربوا الدين القويم الذي بشر به خاتم
الأنبياء وسيد المرسلين .

والحق أن التاريخ يؤكد أن شعب عُمان منذ أقدم العصور
شعب متحضر مثقف واع ، ولهذا فلنهم حين أسلموا استوعبوا جوهر
الدين وفهموه فهماً حسناً . وبالرغم من بعد عمان عن الحجاز -
مهبط الوحي وموطن الرسول عليه الصلاة والسلام - وبالرغم من
منعة عمان ، وبالرغم من عدد العمانيين وعتادهم ، فإنه لم يكن لهم
مصلحة في القضاء على الدين الإسلامي كما فعلت قريش بادي ذي
بدء خوفاً على نفوذها وسيطرتها على الكعبة .

وقد بينّا كيف اشترك العمانيون في الفتوحات الإسلامية الأولى
برغم تجاهل معظم المصادر لهذا الدور العماني الرائع وخاصة في الجهة
الشرقية والجنوبية .

وقد بينّا في إيجاز كيف كانت عمان خلية من النشاط العلمي
والفقهى والأدبى ، كما أوضحنا مدى ارتباطها بصفة خاصة
بالبصرة منذ أن اختطت أيام عمر بن الخطاب ، حتى غدت البصرة
عمانية بسكانها وبعلمائها العمانيين . كذلك تحدثنا عن أباضية عمان
وحاولنا إلقاء الضوء على المذهب الأباضى الذى فهمه معظم الكتاب
القدماء والحديثين فهماً خاطئاً لعدم رجوعهم إلى المصادر الأباضية
بالدرجة الأولى ، ولأن الحكام الأمويين ومن بعدهم العباسيين
قد نجحوا إلى حد كبير فى إخفاء تراثهم العلمى رداً على موقف
الأباضية منهم فى الناحيتين الدينية والسياسية . كذلك تحدثنا عن
دور أباضية عمان الدينى والعلمى العظيم فضلاً عن جهودهم
المضنية فى سبيل قيام الإمامة الصالحة التى تستند على القرآن الكريم
والسنة الشريفة والإجماع . ونجح الأباضية فى إقامة الإمامة فى
عمان وفى الاحتفاظ باستقلال بلادهم بعد عصر الخلفاء الراشدين
إلا فى الأوقات التى سادت فيها ظروف معينة . كما نجحوا فى إقامة
مذهبهم ، وفى إقامة الإمامة العادلة ، فى فترات قصرت أو طالت ،
وذلك فى الحجاز وحضرموت واليمن ، وشمال افريقية ، وشرق
أفريقية

وإذ نتقدم بهذا الكتاب المتواضع عن عُثمان في فجر الإسلام ،
نسأل الله تعالى أن تسمد عُثمان من ماضيها المجيد القوة والعزة
والمجد ، وأن تساهم في مختلف نواحي الحضارة الإسلامية مساهمة
فعالة تليق بماضيها التليد ، وبتاريخها الزاهر على مر العصور .

ولا يفوتني أن أتوجه بشكري الخالص وتقديري العميق إلى
صاحب المعالي سمو الأمير السيد فيصل بن علي بن فيصل وزير التراث
القومي والثقافة في سلطنة عمان ، الذي أتاح لي فرصة التقدم بالكتاب
الأول في « سلسلة تراثنا » : حفظه الله ووفقه في نشر التراث العماني
العظيم في ظل ورعاية حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس
بن سعيد المعظم حفظه الله .

ذو الحجة ١٣٩٩ هـ

دكتورة

نوفمبر ١٩٧٩ م

سيدة إسماعيل كاشف

جغرافيه عمان واثرها على تاريخها

يرجع تاريخ عمان إلى آلاف السنين . و عمان شبه جزيرة جبلية في شرقي شبه الجزيرة العربية . وكان الجغرافيون القدماء أمثال ديودور الصقلي ، وسترابون ، وبطليموس ، يقسمون بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام رئيسية : العرب الصحرية ، والعرب القفرة ، والعرب السعيدة ، وكانت عمان تدخل ضمن بلاد العرب السعيدة ، لكن في العصور الوسطى كانت هذه التسمية تطلق خطأ على اليمن فقط . أما العرب أنفسهم فكانوا يقسمون شبه جزيرتهم إلى خمسة أقسام : تهامة والحجاز ونجد واليمن والعروض . وحسب تقسيم العرب تقع عمان والبحرين واليمامة في العروض ، وسمى عروضاً لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق .

وتتصل عمان برأب بقية شبه الجزيرة العربية عن طريق السهل الساحلي ، أو عن طريق الوديان . كذلك تتصل عمان شمالاً بالعراق والهلل الخصب ، ولم يكن يفصلها عن العراق سوى البحرين . وكان سكان وادي الوافدين ، أو العراق ، يجلبون النحاس من عمان منذ عصور ما قبل التاريخ ، وظلوا يجلبونه منها في العصور التاريخية القديمة . وجاء ذكر عمان في النقوش المسمارية باسم «مجان» أو «مغان» .

ومما يؤيد أن «مجان» التي يرد ذكرها في النقوش المسمارية هي إقليم عمان ، أن هذه النقوش تصف «مجان» بأنها جبل النحاس . والمعروف أن النحاس لا يزال موجودا في الجبل الأخضر في عمان ، وأن نحاس هذا الإقليم يحتوى على كمية من القصدير مثل الذى كان يجلبه السومريون والأكديون إلى وادى الرافدين ، وهو فى ذلك يخالف النحاس الموجود فى إيران وآسيا الصغرى وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص .

والراجح أن بلاد الرافدين كانت تجلب من شرقى بلاد العرب ولاسيما إقليم «مجان» أنواعا من الحجر التى كانت تستخدم فى صناعة التماثيل والأنصاب ، ولاسيما حجر الأوبسيديان البركانى وحجر الديوريت .

وتحيط البحار والخليجان بعمان شمالا وشرقا وجنوبا ، فعمان تطل على الخليج العربى ثم خليج عمان ؛ ثم بحر عمان وبحر العرب وهما امتداد للمحيط الهندى . ولهذا نبغ فى عمان منذ القدم المعلمون المهرة والملاحون الحاذقون . ويروى البلاذرى أن عتبة بن غزوان حين فتح الأبلّة كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ويخبره أن الأبلّة فرضة البحرين وعمان والهند والصين (١) .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٤٩

وبفضل موقع عمان الجغرافي ، وبفضل نشاط أهلها ، نشأت الحضارة العمانية وازدهرت وترعرعت . وتطلب هذا الموقع الجغرافي من ناحية أخرى يقظة العمانيين والسهر لحمايتها من أطماع الطامعين .

القبائل العربية في عمان

تذكر الروايات التاريخية أن عمان وقعت تحت حكم الأحباش في القرن السادس الميلادي . والمعروف أن الأحباش غزوا بلاد اليمن أيضاً بتحريض من حليفهم إمبراطور الروم وذلك للسيطرة على الطرق التجارية ، وللقضاء على تجارة منافسيهم الفرس ، فضلاً عن جعل السيادة للدين المسيحي (١) . وظل الأحباش يحكمون في اليمن وفي عمان ، لكن سوء حكمهم جعل العرب يستنجدون بالروم ، ثم بالفرس في عهد كسرى أنو شروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) . واستطاع الفرس بمعاونة أهل البلاد القضاء على الأحباش في اليمن ثم في عمان .

(١) انظر : ابن هشام : التيجان في ملوك حمير ص ٣٠١ (طبعة حيدر آباد ١٣٤٧ هـ) ،

Palgrave : Narrative of a year's journey through Central and Eastern Arabia. Vol I. p. 255 (London 1865) .

ولعل طرد الفرس من عمان كان منذ سنة ٥٩٧ م (١).

وعلى أثر انهيار سد مأرب تفرقت القبائل والبطون اليمنية في أنحاء شبه الجزيرة وفي أطرافها . وكان ممن خرج إلى عمان من الأزد ، مالك بن فهم ، فيمن أطاعه من ولده وقومه وعشيرته ، أما ولده جذيمة الأبرش بن مالك فقد اعتزل عنهم بمن سار معه من الأزد إلى أرض العراق . ويروى أن مالك بن فهم استقر أولاً في السراة في الحجاز ، ومالبت أن اتجه إلى عمان . وحين توسط الطريق حنت إبله إلى مراعيها وأقبلت إلى السراة ، فكان مما قاله مالك في ذلك :

ستغنيك عن أرض الحجاز مشارب

رحاب النواحي واضمحلت المسالك (٢)

وتروى الروايات التاريخية أن مالك بن فهم اضطر للدخول

(١) راجع : الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الأمم والملوك

ج ٢ ص ١١٦ - ١١٧ (طبعة القاهرة ١٣٢٦ هـ) ،

Firouz (Kajare) : Le Sultanat d'Oman et la question de Mascate. pp. 27-28 (Etude d' Histoire Diplomatique et de Droit Internationale. Paris 1914) .

(٢) السامى (الشيخ أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السامى) :

تحفة الأعيان في سيرة أدل عمان . الجزء الأول . ص ١٤ (الطبعة الأولى بالقاهرة ١٣٣٢ هـ) .

حرب شرسة مع عامل الفرس حينذاك على عمان ، وذلك ليستخلص الأرض العربية من أيدي محتليها . وعمد الفرس إلى إرهاب العرب بوضع عدد من الفيأة في مقدمة جيشهم ؛ لكن العرب استطاعوا انتزاع عمان من الفرس .

وبعد انتصار مالك بن فهم على الفرس أخذت قبائل الأزد تتوافد على عمان .

ونظم شعراء عمان الأشعار الكثيرة في استقرار مالك بن فهم وولده في عمان وفي انتصاره على الفرس .

ولم يكن الأزد اليمانية هم سكان عمان فقط . بل سكنها بطون وقبائل من العرب العدنانية من بني سعد وبني عبد القيس وبني تميم وبني شيبان وبني بكر وبني عبيس . كذلك سكنها أخلاط من الأعراب البدو ، وسكنها قوم من الفرس ، فضلا عن أخلاط من الناس .

اسم عمان

وقيل إن الأزد سمت « عُمان » عمانا لأن منازلها كانت على وادٍ لهم بمأرب يقال له عمان فشبهوها به . أما العجم فكانت تسميها مزونا . وفي ذلك قيل :

إن كسرى سمي عمان مزونا ومزون يا صاح خير بلاد

بلدة ذات مزرع ونخيل ومراع ومشرب غير صاد (١)
وقيل سميت عمان بعمان بن ابراهيم الخليل عليه السلام .
وقيل سميت بعمان بن سبأ بن يفتان بن ابراهيم خليل الرحمن لأنه
بنى مدينة عمان (٢) .

الشعوب العربية البائدة في عمان

وليس من شك في أنه سكن عمان قبل العرب القحطانية
اليمنية والعرب العدنانية الشمالية ، شعوب عربية قديمة من الشعوب
البائدة ، مثل عاد التي كانت تسكن في الأحقاف بين عمان
وحضرموت ونبيها سيدنا هود . وقد ورد ذكر عاد وثمود في
القرآن الكريم . في آيات كثيرة منها ماجاء في سورة الشعراء والأعراف
والمؤمنون . ومن يتأمل في الآيات القرآنية الكريمة يمكنه أن يستنتج
أن هؤلاء الأقوام كانوا متحضرين مترفين .

وقد يكون من سكان عمان القدماء من العرب البائدة طسم
وجديس التي سكنت في اليمامة شرقي نجد .

(١) الأزكوى (سرحان بن سعيد) : كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة .
ص ٣٢ (نسخة خطية بالمكتبة التيمورية رقم ٢٥٨٢ تاريخ)

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان . ج ٦ ص ٢١٥ (الطبعة الأولى -

القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ١٩٠٦ م)

ديانة عمان قبل الإسلام

قبل أن يشرق نور الإسلام في شبه الجزيرة العربية وفي العالم أجمع ، كانت عمان ملتقى لديانات شبه الجزيرة العربية والعالم الخارجى بحكم موقعها في شبه الجزيرة العربية ، وبحكم موقعها الجغرافى وصلتها بالعالم الخارجى .

ونجد في معاجم اللغة العربية ، وفي الأدب العربى من شعر وقصص أخبارا عن الوثنية في بلاد العرب في العصر الجاهلى ، وكثير منها يرجع إلى المؤرخ هشام بن محمد الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) والذي ألف كتاباً عن الأصنام جمع فيه معظم ما كان معروفاً عنها في عصره ، ولكننا لانجد في هذا الكتاب أى شرح حقيقى لخواص تلك الآلهة الوثنية .

وتدل الأسماء التى كانت منتشرة في العصر الجاهلى في بعض الأحيان على أسماء آلهة عرفها العرب في جاهليتهم . ومن تلك الأسماء عبد ودّ وعبد شمس وعبد العزّى وعبد قيس وامرؤ القيس ووهب اللات وتيم اللات وزيد اللات وعبد عوف .

وفي القران الكريم إشارات إلى بعض آلهة الجاهلية . ومن ذلك (أفرايتم اللات والعزّى . ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكركم وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى . إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

إِنْ يَسْتَبْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
الْهُدَى (١).

وقال تعالى : (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ
لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبْرَارًا وَقَالُوا
لَا تَنْدَرُنَّ آلِهَتِكُمْ وَلَا تَنْدَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) (٢).

وكان العرب كغيرهم من الشعوب السامية القديمة قوما للدين
عندهم منزلة كبيرة . والواقع أن الساميين القدماء كانوا شعب الله
وشعب الديانات ، والعالم مدين لهم بالديانات الثلاث الكبرى .
ومع ذلك فيبدو أن البدو من العرب لم يكن لديهم شعور ديني
عميق وأنهم كانوا يسرون في ممارسة الطقوس الدينية وفقاً للتقاليد
والعقائد الموروثة . وطبيعي أن ديانة البدو كانت ساذجة وبدائية
ولم تصل إلى ما عرفه العرب المتحضرون - مثل عرب اليمن وعرب
عمان - من المظاهر الفلكية والطقوس الدينية والهيكل وما إلى
ذلك مما كان نتيجة للبيئة الحضرية والاستقرار في المجتمع . وكان
الاستقرار والتقدم في مضمار الحضارة هما السبب في عبادة الأجرام
السماوية كالقمر والشمس والنجوم . وقد جاء في القرآن الكريم

(١) سورة النجم : ١٩ - ٢٣ .

(٢) سورة النجم : ١٩ - ٢٣ .

(١) سورة النجم الآيات ١٩ - ٢٣ .

(٢) سورة النجم : ١٩ - ٢٣ .

(٣) سورة نوح الآيات ٢١ - ٢٣ .

(وَ مِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) . (١) وكان من معبودات العرب في الجاهلية النجم عطار د . وهو المشار إليه في سورة الطارق (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ) . (٢) والمشار إليه في سورة النجم (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ) . (٣) .

وكانت الظاهرة الأساسية في المعتقدات الدينية عند البدو إيمانهم بوجود أرواح في بعض الأجرام السماوية كالقمر والشمس والنجوم ، وفي بعض مظاهر الطبيعة كالأمطار والرياح ، وفي بعض العناصر الجامدة كالأشجار والحجارة . وكانت عبادة هذه الأرواح تقصد لذاتها أولا ، ثم امتدت تفكير العرب في الجاهلية إلى وجود قوة إلهية أعلى ؛ ولكنهم اعتبروا تلك الأرواح والمعبودات واسطة للإله الأكبر .

وعرفت عُمان عبادة النار ، أو المجوسية ، وذلك عن طريق اتصالها البحري والتجاري ببلاد الفرس .

أما اليهودية فقد دخلت شبه الجزيرة العربية قبل الديانة المسيحية .

(١) سورة فصلت آية ٣٧ .

(١) سورة الطارق . الأبيات ١ - ٣

(٢) سورة النجم . الآيات ١ - ٢

والراجح أن اليهود دخلوا بلاد العرب من فلسطين وخاصة منذ سنة ٧٠ بعد الميلاد وهي السنة التي خربت فيها بيت المقدس على يد تيتوس ابن الإمبراطور الروماني فسبازيان . ولم يكن يهود اليمن وعمان ويثرب وسائر أنحاء شبه الجزيرة العربية هم الذين هاجروا إليها من خارج شبه الجزيرة فقط ، وإنما اعتنق فريق من العرب تلك الديانة السماوية .

والمعروف أن نفوذ اليهودية قوى من اليمن حتى أقبل على اعتناقها ذو نواس آخر ملوك حمير في اليمن في القرن السادس الميلادي ، وتحمس يوسف ذو نواس لليهودية حتى قيل إنه اضطهد رعاياه المسيحيين انتقاماً لاضطهاد بيزنطة المسيحية لليهود . وقيل إنه انتهز فرصة أتتحت له للفتك بالمسيحيين في نجران ، وخيرهم بين اليهودية والقتل ، واختاروا القتل فحفر لهم أخدوداً كبيراً وأحرقهم . وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة من القرآن الكريم : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (١) .

أما المسيحية فقد دخلت إلى بلاد اليمن وعمان وغيرهما من أنحاء شبه الجزيرة العربية منذ القرون المسيحية الأولى على يد مبعوثين ومبشرين من الشام أو على يد الفارين من اضطهاد الأباطرة الرومان والبيزنطيين للمسيحيين . والراجح أن اتساع نفوذ المسيحية في عمان

(١) سورة البروج الايات ٤ : ٨

والذين كان له صلة كبيرة بالمنافسة التجارية بين الروم والفرس والعرب .

وعملت بيزنطة على إدخال المسيحية عن طريق الأحباش ، كما ساعد الفرس على نشر اليهودية اتمرقل النفوذ الأدبي والديني الذي ناله الروم من نشر المسيحية . ونسمع عن بعثة مسيحية أرسلها مبراطور الروم بعد منتصف القرن الرابع الميلادي . كما بنيت الكنائس بعد ذلك في عدن ونجران وظفار وحضرموت ومأرب وغيرها .

والحق أن عُمان كانت ملتقى لجميع الأديان التي تحدثنا عنها حتى بزغ نور الإسلام . ولكننا نلاحظ أنه كان على رأس المعبودات المختلفة في الجاهلية « الله » ولم يكن الواحد الأحد فقد كانت إلى جانبه معبودات أخرى . وفي القرآن الكريم آيات تشهد بعلو مكانة الله ، مثال ذلك قوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) . (١) وقال تعالى : (وَإِذَا غَشِيَهِمْ مَوْجٌ كَالظُّلُمِ اللَّيْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) (٢) .

(١) سورة لقمان . آية ٢٥

(٢) سورة لقمان . آية ٣٢

الدعوة إلى الإسلام في عمان

بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام يبشر بالإسلام في مكة، وتحمل هو ومن آمن بالرسالة أنواعا مختلفة من الاضطهاد. ثم من الله على المسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة، وحدث ما حدث من غزوات وحروب بين الرسول عليه صلوات الله وسلامه ومن آمن برسالته، وبين قريش ومن حالفها. وكان من نتائج صلح الحديبية الذي عقد بين المسلمين وبين قريش في السنة السادسة للهجرة أن أصبح الاتصال مع بقية شبه الجزيرة العربية أمرا ميسورا. إذ آمن الناس كلهم بعضهم بعضا واختلط المسلمون مع غيرهم وجادلهم حتى اعتنق كثيرون الإسلام. ويذكر المؤرخون القدماء مثل الطبري أنه أسلم في الستين اللتين تلتا هذا الصلح عدد من الناس أكبر من عدد المسلمين قبل الصلح.

كذلك تفرغ الرسول عليه الصلاة والسلام لدعوة مازك وأمرأ عصره إلى الإسلام سواء في داخل شبه الجزيرة العربية أو في خارجها لأنه بعث هدى ورحمة للناس. قال الله تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ

وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١). وقال الله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) (٢).

وقال تعالى: (وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٣).

وقال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (٤). وقال الله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (٥).

وقد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام فصنع له خاتم من فضة نقشت عليه « محمد رسول الله » وذلك حتى يتختم رسائله .

وحين ظهر الإسلام كان يحكم عمان بنو الجلندى ، وهم ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم على رأى ، أو من ولد مالك بن فهم الأزدي على رأى آخر . وأدرك الإسلام ملكا عمان عبدا وجيغرا (٦)

(١) سورة النحل آية ٨٩

(٢) سورة ص آية ٨٧ و ٨٨

(٣) سورة مباء آية ٢٨

(٤) سورة الفرقان آية ١

(٥) سورة الأعراف آية ١٥٨

(٦) لم يختلف المؤرخون والكتاب فى اسم جيغرا أما عبد فقد ورد أحيانا « عباد » كما فى تاريخ اليعقوبى ، وكتبه البلاذرى فى فتوح البلدان « عبيد » وكتبه ابن هشام فى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام « عباد » وكتب أيضا فى بعض المصادر عياذ .

ابن الجندى وإليهما كتب الرسول عليه الصلاة والسلام يدعوهما إلى الإسلام .

واختلفت الروايات التاريخية في تاريخ دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان للدخول في الدين الإسلامي . فيذكر ابن هشام (١) أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل في السنة السادسة للهجرة الكتب يدعو إلى الإسلام ، وذلك إلى الملوك والأمراء ومن بينهم جيفر وعباد ابني الجندى ، أما البلاذري (٢) فيذكر أنه في سنة ثمان للهجرة «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا زيد الأنصاري أحد الخزرج ، وهو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى عبيد وجيفر ابني الجندى بكتاب منه يدعوهما فيه إلى الإسلام وقال : إن أجاب القوم إلى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله فعمرو الأمير ، وأبو زيد على الصلاة وأخذ الإسلام على النامس وتعليمهم القرآن والسنن . فلما قدم أبو زيد وعمرو عثمان ، وجدا عبيدا وجيفرا بصحار على ساحل البحر فأوصلا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إليهما فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الإسلام ، فأجابوا إليه ورغبوا فيه فلم يزل

(١) ابن هشام : كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٤ ص ٢٧٩ (طبعة القاهرة ١٣٥٦ هـ) .
(٢) فتوح البلدان : ص ٨٣ (الطبعة الأولى - القاهرة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م) .

عمرو وأبو زيد بعمان حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال إن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك .

وفي رواية أخرى للبلاذرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أبا زيد بكتابه إلى عبيد وجيفر ابني الجبلندي الأزديين في سنة ٦٦ هـ ، ووجه عمر أفي سنة ٨ هـ بعد إسلامه بقليل (١) .

أما ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى ، واليعقوبى ، والطبرى ، وغيرهم من المؤرخين القدامى فيجمعون على أن كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان كان في السنة الثامنة للهجرة (٢) .

استجابة ملكي عمان لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم

وتتفق الروايات التاريخية كلها على أن ملكي عمان استجابا لدعوة الرسول عليه أفضل الصلوات والسلام ، وأنهما قاما بدعوة العمانيين إلى الإسلام . وذكر المؤرخون والكتاب القداماء بعض التفاصيل عن مقابلة عمرو بن العاص لعبد وجيفر ابني الجبلندي ، من ذلك استفسار ملكي عمان عن الإسلام وجوهر هذا الدين

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٨٤

(٢) راجع : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٧ (طبعة القاهرة ١٣٥٨ هـ) وتاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٦٢ (طبعة النجف الأشرف ١٣٥٨ هـ) ، الطبرى : تاريخ الإمام والملوك ج ٣ ص ١٠٣ (الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية) .

الحنيف فكانت إجابة عمرو بن العاص بأن « يعبد الناس الله والا يشركوا به شيئا وأن يشهدوا أن محمدا عبده ورسوله ... » ، وفي بعض الروايات التاريخية أن جيفرا سأل عن موقف قریش من الدعوة فأجابه عمرو بن العاص : « تبعوه إما راغب في الدين ، وإما راهب مقهور بالسيف » وأما عن سائر الناس فقد أجاب عمرو بن العاص « الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعمق ولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال مبين ... »

وبالرغم من سرعة استجابة ملكي عمان لدعوة الرسول الكريم إلى الإسلام ، فإننا نلمس من الروايات التاريخية أن عبد بن الحنندي كان أسبق من أخيه جيفر إلى تقبل الدعوة ، ذلك لأن جيفرا فكر لبضعة أيام معموده في مصير ملكه إذا هو أسلم ، وخاصة أن جيفرا كان مقدما في الملك على أخيه عبد . كذلك نتيين من الروايات التاريخية أن جيفرا كان واثقا من منعة بلاده وقوة عتادها فضلا عن بعد الشقة بينما وبس الحجاز ، ولهذا فإن إسلامه هو وأخيه لم يكن عن ضعف أو خوف أو دعة . وفي بعض الروايات التي تفصح عن تفكير جيفر في ملكه ، وثقته بقوة بلاده وذلك قبل إعلان إسلامه قوله لعمرو بن العاص رسول النبي عليه الصلاة والسلام إليه : « ... إني فكرت فيما دعوت إليه فإذا أنا أضعف العرب أن ملكت رجلا ما في يدي ، وهو لا تبلغ خيله هنا ، وإن بلغت خيله ألقته - أي وجدت - قتالا ليس كقتال من لاقى ... »

والحق أن الروايات التاريخية تبين أن عبد بن الجندى لم يتردد منذ اللحظة التي قابل فيها عمرو بن العاص في الدخول في الإسلام ، أما أخوه جيفر فسرعان ما أدرك أن الإسلام لا يحول بينه وبين ملكه .

وتؤكد الروايات التاريخية أن عبد وجيفر ابني الجندى ظلّا في ملكهما ، ولعل استقلالهما كان استقلالا في ظل حكومة الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة ، والحق أن الرسول عليه الصلاة والسلام حرص على الدعوة إلى الإسلام ، وعلى إرسال البعث لتعليم الناس القرآن والسنة ، ولجمع الزكاة من المسلمين وذلك لتنفيذ ركن من أركان الدين من ناحية ، ولتأمين نفقات الدولة الإسلامية من ناحية أخرى ، وللمساعدة الفقراء من ناحية ثالثة .

وقد شهد عمرو بن العاص ، رسول النبي إلى ابني الجندى ، بحسن إسلامهما ، وبتعاونهما مع رسول النبي وبعملهما على توطيد أركان الدين في عمان . فكان مما قاله عمرو بن العاص عن عبد وجيفر ابني الجندى : « فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا ، وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم وخلييا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لي عوناً على من خالفني ، فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم ، فلم أزل مقيماً فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

وفود ازد عمان

دخل الإسلام في عمان منذ أن دخل عبد وجيفر ابني الجبلندي في الدين الحنيف ، بين السنة السادسة والثامنة للهجرة النبوية . وفي الوقت نفسه نسمع أن وفادات تتابعث على رسول الله صلى عليه وسلم قبل ذلك ، تعلن إسلامها منذ السنة الخامسة للهجرة (١) ولم يتخلف ، أزدي عمان عن الوفود فتتابعث وفودهم ، وتذكر كتب السيرة أن وفداً من أزدي عمان فيهم اسد بن يبرح الطاحي لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألوه أن يبعث معهم رجلاً يقيم أمرهم ، فقال تخربة العبدى ، واسمه مدرك بن خروط ، ابعثنى إليهم ، فإن لهم على منة ، أسروني يوم جنوب فمناو على ، فوجه معهم إلى عمان . وقدم بعد هذا الوفد سلمة بن عباد الأزدي في ناس من قومه فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يعبد وما يدعو إليه ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادع الله أن يجمع كلمتنا وألفتنا فدعاهم ، واسلم سلمة ومن معه (٢)

وفي رواية من روايات السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل عمان العلاء بن الحضرمي ليعلمهم شرائع الإسلام ويصدق أمواهم (٣).

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٤

(٢) ابن سعد . الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٤ - ١١٥

(٣) ابن سعد . الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٤

أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل إسلام أهل عمان

وقد دون الرواة أحاديث عن سيد الخلق عليه الصلاة والسلام في فضل إسلام أهل عمان ، فقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ للغرباء من أمي قالوا : ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ، ويتمسكون بحبل الإسلام حين يقطع » . قال محمد ابن أحمد : الغرباء أهل عمان من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتنظر إلى الصالحاء من أهل عمان (١) .

وروى أحمد من طريق أبي ليلى قال : خرج رجل منا يقال له يبرح ابن أسد فراه عمر فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل عمان . فأدخله على أبي بكر فقال : هذا من أهل الأرض التي ممتعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيها البحر ، لو أتاهم رسول ما رموه بسهم ولا حجر » .

وعند مسلم من حديث أبي برزة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا إلى قوم فسبوه وضربوه ، فجاء إلى رسول

(١) انظر : السامى : تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان ج ١ ص ٧ .

الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك » ،

وفي حديث مازن بن غضوبة قال : قلت : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ادع الله تعالى لأهل عمان ! فقال : اللهم اهدهم وأثبتهم . فقلت : زدني يا رسول الله : فقال : اللهم أرزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم . قلت يا رسول الله : البحر ينضج بجانبنا ادع الله في مبرتنا وخفنا وظلفنا ! قال : اللهم وسع عليهم في مبرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم ! قلت : زدني ، قال : اللهم لاتسلط عليهم عدواً من غيرهم ! ! قل يا مازن آمين ! فإن آمين يستجاب عنده الدعاء . قال : قلت آمين ! قال : فلما كان في العام القابل وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فقلت : يا المبارك ابن المباركين الطيب ابن الطيبين قد هدى الله قوما من أهل عمان ومن عليهم بدينك ، وقد أخصبت عمان خصبها هنيا وكثرت الأرباح والصيد بها . فقال عليه السلام : ديني دين الإسلام سيزيد الله أهل عمان خصبها وصيدا فطوبى لمن آمن بي ورآني ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ولم ير من رآني ، وإن الله سيزيد أهل عمان إسلاما (١) .

(١) انظر : السامى : تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان . ج ١ ص ٧-٨

وسلم ويا معاشر قريش هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئنا منها إليكم » فقال
أبو بكر : جزاكم الله خيرا ! واثني عليهم المسلمون خيرا ، وقام
الخطباء بالثناء عليهم والمدح فقالوا : كفاكم معاشر الأزد قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم وثناؤه عليكم . أما عمرو بن
العاص فلم يدع شيئا من المدح والثناء إلا قاله في الأزد ، ثم جاء
وجوه الأنصار من الأزد وغيرهم مسلمين على عهد ومن معه .



أهل عمان وردة العرب

لم يغب عن أبي بكر الصديق خليفة رسول الله أن أهل عمان كانوا سندا للإسلام والمسلمين في محنة الردة التي كان على الدولة العربية الإسلامية الوليدة أن تجتازها . فقد واجهت أبا بكر الصديق في أول خلافته حركة الردة التي بدت طلائعها قبيل وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، والتي كانت حركة دينية اجتماعية سياسية . فقبيل وفاة الرسول عليه السلام ارتد طليحة الأسدي وادعى النبوة في أطراف نجد ، وكذلك فعل الأسود العنسي في اليمن . ثم ظهر مسلمة في اليمامة وادعى أنه نبي الله وخليفة الرسول وتبعه كثيرون من بني حنيفة ، وقامت سجاح إحدى نساء بني تميم وادعت النبوة واتفقت مع مسلمة وتزوجته .

هذا فضلا عن جماعات من القبائل لم تعترف بحكومة أبي بكر وامتنعت عن أداء الزكاة . وبالإضافة إلى ذلك كان هناك العرب الذين ارتدوا تماما لأن الإسلام لم يتمكن في قلوبهم ولأنهم أسلموا مقلدين أو خائفين . وهكذا نرى أن المرتدين والمتنبئين أحاطوا بعمان فلم تهتز وبقيت على ولائها للإسلام . ولعلنا نلاحظ الفارق الكبير بين موقف عمان من عمرو بن العاص الذي كرمه أهل عمان واعترف هو بحسن إسلامهم وبين موقف البحرين من العلاء الحضرمي

عامل للرسول عليه الصلاة والسلام هناك ، إذ اضطر العلاء الحضرمي إلى الاعتصام في حصن إلى الشمال من هجر حتى أقبل خالد بن الوليد لنجدته بعد أن قضى على مسيلمة .

ولم يفت أبو بكر الصديق ، خليفة رسول الله أن يشيد بحسن إسلام العمانيين . فغداة وصول عمرو بن العاص إلى المدينة مع عبد ابن الجندى ووفد الأزد ، يذكر الرواة ما نصه « فاما كان من الغد أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار وقام أبو بكر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه وقال : معاشر أهل عمان ، إنكم أسلمتم طوعا لم يظأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشتموه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شماكم . ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتوه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فأى فضل أبر من فضلكم ؟! وأى فعل أشرف من فعلكم ؟! كفاكم قول رسول صلى الله عليه وسلم إلى يوم المعاد . ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرما ، ورحل عنكم إذ رحل مسلما وقد من الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجندى وأعزكم الله به وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال وجميل حتى أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهرتم ما يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمال فيثبت الله به ألسنتكم

ويهدى به قلوبكم ، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظني فيكم .
ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن
دينكم . جزاكم الله خيرا ، (١) .

والحق أننا نسمع عن حركة ردة في عمان اللهم إلا حركة
ذكرها البلاذري في فتوح البائدان والطبري في تاريخه ، ومن أخذ عنهما
من المؤرخين مثل ابن الأثير في الكامل . فيذكرون أن الأزدي ارتدت
وعليها لقيط بن مالك ذو التاج الأزدي وانحازت إلى دبا (٢) فوجه
أبو بكر رضى الله عنه إليهم حذيفة بن محض الغلفاني (أو حذيفة
ابن محض البارق) من الأزدي وعكرمة بن أبي جهل بن هشام
الخزومي أو عرفجة البارق ، فواقعا لقيطا ومن معه فقتلاه ، وسبوا
من أهل دبا سببا بعثا به إلى أبي بكر رحمه الله ، وقيل إن لقيط
ابن مالك كان يسامى في الجاهلية الجندى ، وادعى النبوة ، وألجأ
جيفر وعبد إلى الجبال والبحر ، وأن جيفرا كتب إلى أبي بكر
ينخبره بذلك ويطلب منه النصرة ، وقد أمر أبو بكر قائدیه أن يجدا
السير حتى يقدموا عمان فإذا كانا قريبا منها كاتبها جيفرا وعبدا
وعملأيرأيهما . وروى أن المسلمين قتلوا من المشركين ١٠,٠٠٠
وأرسلوا خمس الغنائم إلى أبي بكر مع عرفجة وأقام حذيفة بعمان

(١) انظر : السامى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨ - ٩ .

(٢) توجد دبا الآن في الفجيرة إحدى الإمارات العربية المتحدة وبها مقابر قيل
إنها للصحابه وأهل الردة .

حتى يمهّد الأمور ويسكن الناس (١) أما الرواة العمانيون فهم ينفون حركة الردة نفيًا قاطعًا ويعلقون على ما ذكره بعض المؤرخين عن ردة عمان بأنها لم تكن حركة ردة ، وإنما كانت المسألة بسبب خلاف حول زكاة إحدى النساء في دبا وخاف حذيفة بن محصن الغلفاني أن يكون القوم قد ارتدوا فأغار عليهم وسبأ أهل دبا بحق وبغير حق فذهب وفد من عُمان إلى أبي بكر وقالوا له : « يا خليفة رسول الله إنا على إسلامنا لم ننتقل عنه ولم نمنع زكاة ولم ننزع يداً من طاعة ولم نرجع عن الدين ، وإِ وقد عجل علينا صاحبك وكففتنا أيدينا إلى أن أتيناك » . وكان وفد عمان بالمدينة حين توفي أبو بكر الصديق وولى عمر بن الخطاب الخلافة فأمر عمر برد سبي دبا بعد أن عتف حذيفة تعنيفاً شديداً (٢) .

(١) انظر : البلاذري . فتوح البلدان ص ٨٢ - ٨٤ ، والطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) انظر : السامى ، تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان ج ١ ص ٥١ - ٥٧ ونلاحظ أن السامى يعلق على رواية المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل ، والخاصة بحركة الردة في عمان بقوله « وكله باطل لا أصل له والله أعلم » السامى ، تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٧ .

اشترك عمان في الفتوحات الإسلامية

لم تتخلف عمان في فجر إسلامها عن الفتوحات الإسلامية العظيمة براً أو بحراً ، وتذكر الروايات التاريخية أن الملك عبد بن الجلندي حين كان بالمدينة طلب من أبي بكر الصديق أن يقوم بحرب الغساسنة (آل جفنة) على حدود الشام . واستجاب له أبو بكر وأمره على سرية كان فيها حسان بن ثابت الأنصاري . ولما عادت سرية عبد بن الجلندي من ديار آل جفنة قام حسان وقال : « قد شهر مقام عبد في الجاهلية والإسلام ، فلم أر رجلاً أحزم ولا أحسن رأياً وتدبيراً من عبد ، وهو والله ممن وهب نفسه في يوم غارت صباحه وأظلم صباحه » فسر ذلك أبا بكر وقال : « هو يا أبا الوليد كما ذكرت ، والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله » فبلغ ذلك عبد ، فبعث إليه بمال عظيم وأرسل إليه : أن مالى يعجز عن مكافأتك فاعذر فيما قصر واقبل ما تيسر ، ثم إن أبا بكر كتب كتاباً إلى أهل عمان يشكرهم ويثني عليهم (١) .

أما دور عمان في فتح العراق وفارس وخاصة من ناحية البحر فإنه لا شك كان عظيماً ، ومع ذلك لا نقرأ عنه إلا أسطراً قليلة في روايات المؤرخين . ومن هذه الروايات التاريخية القليلة نعرف

أن الخليفة عمر بن الخطاب طلب من والى عمان عثمان بن أبي العاص الثقفي ، بعد وقعة جلولاء (١٦ هـ / ٦٣٧ م) أن يقطع البحر لمحاربة كسرى فارس . فخرج معه ثلاثة آلاف محارب ، أو ألفان وسمائة ، من الأزد ، وراسب وناجية وعبد القيس وأكثرهم من الأزد ، فعبر بهم عثمان بن أبي العاص من جلفار (١) إلى جزيرة كاوان وفيها قائد العجم ، فسالم التماثد الفارس عثمان بن أبي العاص ولم يقاتله .

ولما علم يزدجرد كسرى فارس بذلك ، كتب إلى عظيم كرمان « أن أقطع إلى جزيرة بني كاوان ، فحل بين العرب الذين بها وبين إخوانهم » ، فقطع في ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف هر موز إلى رأس القسم (واسمها جاش فعربوها) فلقبه ابن أبي العاص في جزيرة القسم فتقاتلوا قتالا شديدا فقتل الله شهرك وهزم المشركين وقيل إن يزدجرد وجه إلى العرب شهرك ، في أربعين ألفا من الأساورة (٢) وكان هذا النصر للعرب على يد العمانيين ، كما كان قتل شهرك بيد العمانيين . وكانت العرب تدعو شهرك ابن الحمراء (٣)

(١) جلفار أو جرفار هي مدينة خصبة بناحية عمان وأكثر ما تسمى جلفار (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٦٢٢) وقد اندثرت هذه المدينة وقامت الآن بالقرب من أنقاضها رأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة وما زالت أطلالها باقية (أبو بشير محمد بن حميد السالمى : نهضة الأعيان بحرية عمان ص ١٨ - مطابع دار الكتاب العربي - مصر) .

(٢) قال الفيروز ابادى في القاموس المحيط «باب الرأ فصل السين مادة سور» والأسوار بالضم والكسر : قائد الفرس والجيد الرمي بالسهام والثابت على ظهر الفرس . والجمع أساورة وأساور .

(٣) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٢ .

ولاشك أن انتصار أهل عمان الحاسم على شرك كان من أهم الأسباب التي قضت على تطلعات الفرس في تطويق العرب من الجنوب، وقضى هذا الانتصار بيد أهل عمان على فرصة أخيرة للفرس لاستعادة ملكهم وللانتصار على العرب .

والحق أن أهل عمان ساهموا مساهمة فعالة في الفتوحات الكبرى في البر والبحر فشاركوا في حروب الشام وفارس ولم يتخلفوا عن واجب الجهاد سواء أكان الجهاد بالدم أو بالمال . وقد أشار إلى فضل العمانيين في الجهاد الخليفة الرشيد أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب . وتتابع بعد ذلك جهاد أهل عمان لنشر ألوية الإسلام في مختلف الأصقاع وخاصة في شمال أفريقية وفي شرقها ووسطها .



عمان والحركة العلمية في فجر الإسلام

بعد أن اعتنق العُمانيون الإسلام أقبلوا بحماس بالغ على دراسة القرآن والتفسير والحديث وآداب اللغة العربية وغير ذلك من مختلف العلوم والفنون والآداب الإسلامية العربية . وكان شأن عمان في ذلك شأن كافة الأمصار الإسلامية وديار الإسلام ، إذ كان أكثر العلماء الذين ظهرُوا آنذاك علماء دين . وأصبحت عُمان بفضل فقهائها وعلمائها وأدبائها مركزاً هاماً للحركة العلمية الدينية في الدولة الإسلامية . ويجدر بنا أن نلاحظ أنه ليس من السهل تمييز طائفة الفقهاء والعلماء والأدباء في فجر الإسلام تمييزاً دقيقاً لأن هذه الطوائف تلتقي في بعض الأحيان ؛ وإن كان المعروف أن الفقهاء هم حملة علوم الشريعة والعبادات ، وأما العلماء فهم المتخصصون في فن واحد وأما الباقيون ممن تكلموا في فنون مختلفة فهم الأدباء .

ولم يكن عجباً أن تزدهر عمان منذ فجر الإسلام ازدهاراً كبيراً فهي في ذلك مكملٌ لمسيرتها الحضارية عبر آلاف السنين . وفضلاً عن الازدهار العلمي في عمان فلإنها قامت بنشر الإسلام وتثبيت أقدامه في أجزاء متفرقة من المعمورة حيثما حلّ طلاب العلم ، وحيثما وصل التجار العُمانيون ، وحيثما التقى الحجاج في بيت الله الحرام :

وخرج من عمان العلماء النجباء والبلغاء الخطباء ، وروى أن
 الجاحظ قال : « لربما سمعت مَنْ لا علم له يقول : ومن أين لأهل عمان
 البيان ؟ قال . (يعنى عمرو بن بحر وهو الجاحظ) وهل يعدون
 لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء ما يعدون لأهل عمان ؟ ! منهم
 مصقلة بن الرقية أخطب الناس قائما وجالسا ومفردا ومنافسا ومحيا
 ومبتدئا ، ثم ابنه من بعده كرب بن مصقلة ولهما خطبتا العرب
 العجوز في الجاهلية والعنراء في الإسلام . » (١)

والحق أن كتب المؤرخين والأدباء ، وكتب الطبقات والتراجم
 تشير إلى كثير من خطباء وأدباء وعلماء عمان في فجر الإسلام .

ومن أشهر قضاة عمان في فجر الإسلام كعب بن سور الذى
 قدم البصرة بعد تمصيرها فولاه عمرو بن الخطاب القضاء فيها .

ومن علماء عمان الأفاضل أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي ،
 وهو من كبار التابعين . ومن العلماء العمانيين صحرار بن العباس
 الصحابي العماني . ومنهم الربيع بن حبيب الذى أدرك في شبابه جابر
 ابن زيد . ومنهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزواني ، ومنير بن النير
 الجعلاني ، وموسى بن أبي جابر الأزكوى ، ومحبوب بن الرحيل ،

ومحمد بن المعلی الكندی . ومن علماء عمان البارزين أبو حمزة الشاربي المختار بن عوف وهو من بني سليمة بن مالك بن فهم ، وهو صاحب الإمام طالب الحق عبد الله بن يحيى الحضرمي . وكان أبو حمزة المختار خطيباً مصقعا له الخطب المشهورة ، وروى بعضها مالك بن أنس الذي قال عند روايته : « خطبنا أبو حمزة المختار ابن عوف خطبة حيرت المبصر وردت المرتاب ؛ يعني أن المبصر في دينه المخالف لأبي حمزة صار بعد سماع خطبته محتارا غير مبصر لما سمع فيها من الحجج الباهرة والبراهين القاهرة الناقضة لما هو عليه من سوء الاعتقاد ، وأن المرتاب في مذهبه رجع بسماع خطبة أبي حمزة إلى مذهب الحق وترك ما كان عليه من الريب ... » (١) ،

ومن خطباء عمان صعصعة بن صوحان بن زيد وأخيه . ومن خطبائهم الذين اشتهروا بالارتجال وثاقب الفكر وحسن البديهة والرأي مرة بن البليد الأزدي ، وكان رسول المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي .

ومن أهل عُمان الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي ، خرج إلى البصرة وأقام بها فنسب إليها وهو صاحب كتاب « العين » امام

الكتب في اللغة ، وكان الخليل بن أحمد قد أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ، وهو شيخ سيوييه في النحو . ومن أهل عمان أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي الحسن بن دريد الأزدي ؛ صاحب كتاب الجمهرة ، وله مضافات عدة ؛ وكان يملك ناصية فنون العلم والأدب وكان لا يدانيه أحد في الخطابة والشعر والأدب . ومن أهل عمان أبو العباس المبرد صاحب كتاب الكامل .

وهذه الأمثلة قليلة من كثير في بحر العلوم الزاخر ، إذ كانت عمان منذ فجر الإسلام فيها تزخر بالأدباء والعلماء والفقهاء ، وأهل الفتيا ، وأهل الفكر والسياسة ، وأهل الحرب والتجارة . وظلت عُمان تعطى وتأخذ في العلوم والفنون والآداب والسياسة والحرب ، حتى وقتنا الحاضر ، باستثناء الفترات التي غلبت فيها الفتن والتي حاول فيها المغتصبون سلب سيادتها وتفتيت دولتها .

وهكذا نرى أن الإسلام دفع عمان دفعة قوية نحو التطور والحضارة وساهم مساهمة فعالة في إثراء الفكر العماني . وفي إرساء الحضارة العمانية المحيدة . وأصبحت عمان الإسلامية العربية مركزاً علمياً هاماً في الدولة الإسلامية الشاسعة الأرجاء . وظهر دورها الفعال والواضح في مختلف نواحي الحضارة الإسلامية دون أن تفرط في علاقاتها مع سائر الدول والشعوب التي اتصلت بها منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر بحكم موقعها الجغرافي وصلاتها البحرية والتجارية والسياسية والثقافية .

الاباضية في عمان

حين أسلم أهل عُمان كان إسلامهم عن فهم واقتناع وليس عن خوف ورهبة . وهذا واضح من الروايات التاريخية التي تحدثنا عن وفود العمانيين إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتلك التي تحدثنا عن رسل الرسول الكريم إلى أهل عمان ، فضلا عن الروايات التي تبين ارتياح أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب لحسن إسلام العمانيين .

والمعروف أن العمانيين أقبلوا منذ قبولهم للدعوة الإسلامية على دراسة الإسلام والتشريع الإسلامي من أصوله الصحيحة وهي القرآن الكريم ثم الحديث والسنة الشريفة ، ثم الإجماع .

واتصل العمانيون بأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ليأخذوا عنهم دينهم الصحيح فأخذوا عن أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، وأبي بن كعب .

كذلك أخذ العمانيون العلم عن غير هؤلاء من أصحاب

الرسول عايه الصلاة والسلام ، وأصبحت الصلة العلمية قوية بين عُمان والمدينة . وحين مصر الخليفة عمر بن الخطاب البصرة في سنة ١٦ هـ قدم إليها نفر من العمانيين كان منهم كعب بن سور الذي عينه عمر بن الخطاب قاضيا عليها . وأخذت البصرة تنمو تجاريا وعلميا وسكانيا وقويت صلتها بعمان حتى شبهوا العلم « بطائر باض بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار إلى عمان » (١)

وحين يتكلم ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م) عن عُمان يقول : « وأكثر أهلها في أيامنا خوارج أباضية ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ غريب وهم لا يخفون ذلك » (٢) :

والحق أنه لا يمكن للباحث أن يدرس تاريخ عُمان الإسلامي دون أن يفهم الحركة الأباضية من حيث نشأتها وتطورها ونشاطها . والمعروف أن المذهب الأباضي في عمان أقدم من اسمه ، كما أن الأباضية في عمان قديمة قدم الإسلام فيها ، وتعتبر عمان الموطن الأم للأباضية في العالم الإسلامي . لكننا نلاحظ أن جل المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد والنحل القدماء والحديثين ، فضلا عن سائر الكتاب ، يعتبرون الأباضية إحدى فرق الخوارج ؛ وهذا

(١) انظر السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٦

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢١٥

واضح مثلاً في كتابات الأشعري (١) ، والملطى الشافعي (٢) ،
وعبد القاهر البغدادي (٣) ، والخطيب الرازي (٤) ، وابن حزم
الأندلسي (٥) والشهرستاني (٦) ، والشاطبي الغرناطي (٧) فضلاً عن
سائر الكتاب المعاصرين المستشرقين منهم وغير المستشرقين (٨) .

(١) الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٣٣٠ هـ) : مقالات الإسلاميين
و اختلاف المصلين . ج ٢ و ١ . تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية
القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .

(٢) الملطى الشافعي المعروف بالطرائقي (أبو الحسن محمد أحمد بن
عبد الرحمن . ت ٣٧٧ هـ) : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع . الطبعة الأولى .
القاهرة ١٣٦٨ هـ . قدم له وعلق عليه محمد زاهد بن الحسن الكوثري وكيل المشيخة
الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً .

(٣) البغدادي (عبد القاهر بن طاهر البغدادي . ت ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م) :
الفرق بين الفرق . دار الآفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الأولى . ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م)
(٤) الرازي (الإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب . ت ٦٠٦ هـ) :
كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة
١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

(٥) ابن حزم الأندلسي (الإمام أبو محمد علي الظاهري . ت ٤٥٦ هـ) . الفصل
في الملل والأهواء والنحل . مؤسسة الخديجي بمصر .

(٦) الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم . ت ٥٤٨ هـ ١١٥٣ م) كتاب الملل
والنحل . أخرجه محمد بن فتح الله بدران . الطبعة الأولى . مطبعة الأزهر .

(٧) الشاطبي الغرناطي (أبو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي) : الاعتصام
ج ٢ و ١ . المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٣٢ هـ .

(٨) انظر مثلاً : فلهوزن (يوليوس) الخوارج والشيعة . ترجمة عبد الرحمن
بدوي . القاهرة ١٩٥٨ م ، على مصطفى النرابي : تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم
الكلام عند المسلمين . الطبعة الأولى . القاهرة ١٩٤٨ م .

وأدخلهم البعض عن جهل أو تعصب ضمن فرق الغلاة الذين غلوا بدينهم وخرجوا عن أصول الإسلام . ولسنا نشك في أن أعداء الإسلام في مختلف الأزمنة قد دسوا نصوصا ليحطموا دولة الإسلام ويدمروا كيان المسلمين . وفي اعتقادنا أن إطلاق صفة الخوارج على الأباضية يرجع إلى الجهل بالمصادر الأباضية والفقهاء الأباضية . وربما يرجع الخلط بين الأباضية والخوارج عند عامة الناس إلى أن الأباضية أنفسهم في عمان وغيرها يستخدمون أحيانا كلمة «خوارج» حين يتقبلون عن الكتاب القدماء والحديثين ولكنهم يتداركون هذا الخطأ فيقولون «الخوارج» يعنى «المسلمين» وذلك حين يكون الحديث عن الأباضية ، مثلما نرى في كتاب «تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان» للشيخ أبي محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ . وهو من علماء الأباضية في عمان في عصرنا الحديث .

وسواء أكان سبب هذا الخلط بين الأباضية والخوارج مقصودا أو غير مقصود ، فإن الأباضية يشتركون مع الخوارج في إطلاق اسم «الشرأة» على أنفسهم أحيانا فضلا عن أنهم يتفقون مع الخوارج في بعض آرائهم حول إمامة المسلمين . فيذكر مؤرخوا الأباضية أحيانا أن الإمام الأباضى «بويج على الشرأة» (١) أو كان

« اماما شاريا » (١) أو ببيع على قطع الشرى . (٢) وقد سمي « الأباضية » أنفسهم « الشراة » ، وكذلك سمي الخوارج انفسهم « الشراة » وذلك من قولهم : شربنا أنفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة ، (٣) أو من الآية القرآنية (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) . (٤) أما « قطع الشرى » فعناها من يتقدم فيقاتل عن القوم ، أو من يتقدم إلى السلطان فيتكلم عن القوم ؛ وهى عبارة استخدمها كل من الأباضية والخوارج .

أما فيما يتعلق بخلافة المسلمين أو « الأمامة » فإن الأباضية ، والخوارج يعتقدون بصحة خلافة أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان فى صدر خلافته . ورأى الأباضية

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٤

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٤ ، وأبو هلال السيافى الساملى : إزالة اللوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء . ص ٤٧ « تحقيق دكتورة سيدة إسماعيل كشف القاهرة ١٩٧٩ م »

(٣) المقرئى : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٣٥٥-٣٥٦ « طبعة بولاق - القاهرة ١٢٧٠ هـ »

(٤) سورة التوبة : آية ١١١ .

والخوارج ، أن عثمان بن عفان بعد السنين الست الأولى من خلافته أحدث أمورا لم يعمل بها أصحابه من قبل ؛ أى لم يعمل بها أبو بكر وعمر . ولما رأى المؤمنون ما أحدث عثمان أتوه وكلموه وذكروه بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة أبي بكر وعمر ، لكنه ضرب من شاء منهم وسجن من سجن ونفى من نفى . كذلك اعتقد الخوارج ، والأباضية بصحة خلافة علي بن أبي طالب إلى أن قبل نحكيم عبد الله بن قيس ابى موسى الأشعري ، وعمرو بن العاص ، وخلع نفسه وصارت الإمامة يلعب بها الحكمان فاعتزله المسلمون عند ذلك وقدموا على أنفسهم إماما وهو عبد الله بن وهب الراسبي وذلك في ١٠ شوال سنة ٣٧ هـ (١).

ومن الطبيعي أن تتشابه وأن تلتقى آراء السنة مع آراء المعتزلة أو الشيعة أو الأباضية أو الخوارج أو المرجئة فالمنبع والمصدر واحد ألا وهو الإسلام ؛ لكن كل مذهب له جذوره التاريخية والسياسية والفكرية .

(١) هذه الآراء في كتاب عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان في : البرادي (ابو القاسم بن إبراهيم ت ٦٩٧ هـ) : الجواهر المنتقاة ص ١٥٦-١٦٧ وطبعة حجرية القاهرة ١٨٨٤ م ، السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٠-٦١ ، وأبو هلال السيابى السمانلى : إزالة الوعناء عن اتباع أبى الشعثاء : ص ٨٦-١٠١ . تحقيق الدكتور سيدة إسماعيل كاشف . طبعة القاهرة ١٩٧٩ م .

وقد نشرت وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان في هذه السنة مخطوطتين بعنوان : «أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج» و«إزالة الوعشاء عن اتباع أبي الشعثاء» للعالم الأباضي المعاصر أبي هلال سالم بن حمود بن شامس السبائي السمائي (١). وقد حرص مؤلف المخطوطتين على تصحيح الآراء التي وردت في الكتب القديمة والحديثة عن الأباضية ، كما نفى نفياً قاطعاً أن الأباضية من الخوارج ، فضلاً عن حديثه عن أئمة الأباضية الأول ، والحديث عن جوهر الفقه الأباضي .

والمؤلف يدعو بطريق مباشر وغير مباشر إلى تصحيح الروايات الممسوسة على الإسلام وإلى التقريب بين المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بدلاً من توسيع الهوة وإيجاد الفرقة بين أبناء الدين الإسلامي ، وهو في عمله هذا يدعو إلى الاعتصام بحبل الله كما دعا إلى ذلك من قبل الإمام الشاطبي الغرناطي في كتابه : «الاعتصام» .

وصدق الله العظيم إذ قال : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم

(١) قام بتحقيق وشرح المخطوطتين الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف «مطبعة سجل العرب» القاهرة ١٩٧٩ م .

تهتدون . (١)

والحق أن الدارس للمصادر والمراجع الأباضية ولتاريخ عُمان ، يرى الأباضيين ينكرون نسبتهم إلى الخوارج كما يتبرعون من الفرق الغالية . فالخوارج في نظر جل المؤرخين ، وكتاب الفرق والعقائد ، والفلاسفة والأدباء ، هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب حين قبل التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان سنة ٣٧ هـ ،

أما أباضية عُمان وزنجبار وشرقي أفريقية ، وشمال أفريقية في جبل نفوسة في ليبيا ، وجزيرة جربة في تونس ، ووادي ميزاب في الجزائر ، وفي غير ذلك من الأماكن فيتبرعون من نسبتهم إلى الخوارج ، والخوارج في نظرهم معناها الغلو والتطرف أو الخروج على الإسلام .

ويمكننا وصف أباضية عمان بأنهم « أهل الطريق القويم وأهل الصراط المستقيم الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ودعا العرب والعجم إليه وجاهدتهم حتى دخلوا فيه رغبا وهبا » (٢) ويختلط مؤرخو الفرق والعقائد القدماء أيضا بين الخوارج

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٣

(٢) انظر : السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٠ .

والأباضية في عُمان حين يقولون إنه بعد نكبة الخوارج في النهروان على يد علي بن أبي طالب سنة ٣٨ هـ سار من الخوارج رجلا إلى عُمان ومن أتباعهما خوارج عمان (٢).

والحق أن فقهاء ومؤرخي الأباضية قديما وحديثا يؤكدون أن مذهبهم هو الإسلام القائم على القرآن الكريم ، وعلى الأحاديث النبوية وعلى السنة الشريفة ، وعلى الاجتهاد ، وعلى آثار أئمة الهدى والعلم بالله . ويجدر أن نشير هنا إلى أن الأباضية يختلفون عن فرق الخوارج الأزارقة والصفورية والنجدية وغيرها من فرق الخوارج التي ذكر عبد القاهر بن طاهر البغدادي أنها عشرون فرقة ، والتي ذكر المقرئ (١) أنها اثنتان وعشرون فرقة

فالأباضية في عمان اختاروا طوال تاريخهم طريق الاعتدال وابتعدوا عن التطرف وجعلوا هدفهم الرئيسي إقامة تعاليم الدين الإسلامي ، أي أنهم ربطوا بين الإيمان وبين العلم والعمل . فضلا عن أنهم اجتهدوا طوال العصور والأزمنة التاريخية في نشر الإسلام حيثما حل طلاب العلم ، وحيثما وصل التجار العثمانيون ، وحيثما

(١) البغدادي (عبد القاهر بن طاهر أبي منصور) : مختصر كتاب الفرق بين الفرق . ص ٧١ (مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢٤ م)

(١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٣٥٤-٣٥٥ .
(٤ م - فجر الإسلام)

التقى الحجاج في بيت الله الحرام . والمعروف أنه لما عظم خطب الخوارج ولما ثار نافع بن الأزرق هو وأصحابه الخوارج الأزارقة بالبصرة في سنة ٦٥ هـ ، كتب عبد الله بن الزبير من مكة إلى المهلب بن أبي صفرة القائد العُماني الأزدي الشهير ، وكان آنئذ بخراسان - يوليه حرب الخوارج . كذلك استنجد بالمهلب بن أبي صفرة ، أهل البصرة . واستجاب المهلب للدعوة وأنقذ البصرة من الخوارج الأزارقة حتى عرفت البصرة به فقاتلوا « بصرة المهلب » . وظل المهلب بن أبي صفرة العُماني - هو وبنوه - يقاتلون الخوارج تسع عشرة سنة بعضاً في أيام ابن الزبير وباقيها في خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق . وقد حاربهم المهلب بالرأى والمكيدة كما حاربهم بالسيف (١) -

(١) انظر ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م) : الكامل في التاريخ . ج ٤ ص ٨١ ، ١١٨ - ١٢٠ ، ١٨٢ - ١٨٣ (طبعة بولاق - القاهرة ١٢٧٤ هـ) ، Nicholson (A. Reynolds): Literary History of the Arabs., p. 210 (Cambridge 1930).

والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ١ ص ٢٩٦-٢٩٨ (الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٤٨ م) ، والسالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢ ، دكتورة سيدة إسماعيل كاشف : الوليد بن عبد الملك ص ٦٦-٦٧ (أعلام العرب رقم ١٧- القاهرة ١٩٦٣ م) .

ولم يكن الأباضية هدف لتكوين حزب أو إنشاء مذهب خاص ، فمذهبهم الإسلام ودينهم الإسلام . ولم يكن اعتراض الأباضية على سياسة الخليفة عثمان بن عفان بعد السنين الست الأولى من خلافته ، ولا على الإمام علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم لأسباب شخصية أو لمنفعة مادية ، وإنما لأسباب تمت في رأيهم إلى العقيدة الإسلامية متخذين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصب أعينهم (إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (١) .

ولأنلحظ في تاريخ عمان منذ فجر الإسلام فيها تنافراً بين الأباضية وبين أهل السنة فقد عاشوا في تآلف في ظل الدين الإسلامي الحنيف ، واختاروا طريق الاعتدال ، وجعلوا هدفهم الوحيد إقامة شعائر الدين الإسلامي والمحافظة عليه علماً وقولاً وعملاً ، واتخذوا جميعاً كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصب أعينهم .

وجدير بالذكر أنه وفد على عمان بعض المذاهب الإسلامية وبعض الحركات الدينية السياسية المعروفة في تاريخنا الإسلامي ،

لكن العمانيين لفظوها كما كان الحال في مصر الإسلامية منذ فجر الإسلام فيها .

والمعروف أن حركة الزنج نجحت جنوب العراق وفي البحرين فترة من الزمن ، أى في شمال عمان مباشرة ، وذلك منذ القرن الثالث الهجرى . وبالرغم من تغلب الزنج على بعض أنحاء عمان في القرن الرابع الهجرى فإن العمانيين قضوا عليهم وعلى حركتهم (١) .

والمعروف أيضاً أن القرامطة جاءوا إلى عمان وغلبوا عليها بضع سنين من القرن الرابع الهجرى لكن العمانيين نجحوا في القضاء عليهم وتطهير البلاد منهم (٢) . وقبل ذلك رفضت عمان مسألة القول بخلق القرآن التى قال بها المعزلة واعتنقها المأمون العباسى إلى أن أبطل الكلام فيها المتوكل على الله العباسى .

ويؤكد قولنا هذا جميع المصادر الإسلامية التى وقعت في أيدينا . ولعل تعبير ياقوت الحموى موفق إلى أبعد الحدود حين قال عن أهل عمان : « وأهل البحرين بالقرب منهم بضدهم ،

(١) انظر : السالى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ (١)

(٢) انظر : السالى . تحفة الأعيان . ج ١ ص ٢١٠ - ٢١٧

كلهم روافض سبابون لا يكتمنونه ولا يتحاشون وليس عندهم
من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريباً...» (١)

(أ) مشاهير الأئمة الإباضية في فجر الإسلام :

١ - الإمام أبو الشعثا جابر بن زيد :

المعروف أن عمان هي موطن لإمام الإباضية وعالمها وفقهها
جابر بن زيد الأزدي العماني .

ولد جابر بن زيد قبيل نهاية خلافة عمر بن الخطاب
بين سنتي ١٨ ، ٢٢ هـ (٢) في بلدة الفرق من أعمال نزوى في
عمان . وجابر من ولد عمرو بن اليعمد ، وهي قبيلة من القبائل
الأزدية البارزة في عمان ، ومنها بنو خروص المشهورون في
تاريخ عمان . وكان جابر بن زيد يكنى بابنته « الشعثاء » التي
لا يزال قبرها معروفاً في الفرق إلى الآن .

وتلقى جابر بن زيد بداية تعليمه في وطنه عمان . ثم رحل
إلى البصرة للاستزادة من العلم والفقه ، وكانت البصرة آنذاك
إحدى المراكز العلمية الهامة في الدولة الإسلامية ، كما كانت

(١) ياقوت : معجم البلدان . ج ٦ ص ٢١٥

(٢) انظر : البرادى . الجواهر المنتقاة . ص ١٥٥

تتصل اتصالاً وثيقاً بعمان جغرافياً وبشريعاً وثقافياً وذلك منذ أن اختطها عتبة بن غزوان في عهد عمر بن الخطاب .

وكان جابر بن زيد من كبار التابعين ، أدرك سبعين صحابياً من أهل بدر ، وكان عبد الله بن العباس -- أو البحر -- من أعظم أساتذة جابر ، وكان يفخر بتلميذه الذي تعمق في دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الشريعة الإسلامية . كذلك أخذ جابر العلم عن السيدة عائشة أم المؤمنين ، وعن أنس بن مالك وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعن غيرهم من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وعاصر جابر بن زيد كثير من العلماء والفقهاء مثل الحسن البصري وعمر بن دينار وغيرهما لكن جابر تفوق عليهم جميعاً في العلم والخلق والشجاعة في الرأي . فكان ينشر العلم في المساجد والجامع ويجاهد في سبيل إحياء سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويدعو سراً وعلناً إلى ضرورة محافظة الأمة الإسلامية على شريعة الله متمثلة بقوله تعالى :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) (١)

وكان جابر بن زيد مفتي البصرة حتى إن عبد الله بن عباس كان يقول : عجباً لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وفيهم جابر بن زيد !! وفضلاً عن ذلك فإن جابر بن زيد كان من أوائل التابعين الذين عنوا بتدوين الأحاديث والسنن ، وسبق جابر بذلك أصحاب المذاهب الأربعة عند أهل السنة : الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية . وقد روى عن جابر بن زيد أكثر أهل المذاهب واعتمدوا على ثقته وأمانته .

ومن روى عن جابر بن زيد ، البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ، كما أخذ عنه المفسرون مثل الجصاص ، وتعلمنا على يديه عشرات من العلماء ، واعتبره أهل السنة من المحدثين الثقة ومن الفقهاء البارزين .

وإن كانت نشأة الأباضية سياسياً بعد السنوات الأولى من خلافة عثمان بن عفان (حوالى سنة ٢٩ هـ) ، أو حين قبل على ابن أبى طالب التحكيم ، وبإيعاز الخارجون على التحكيم عبد الله بن وهب الراسبى أمير المؤمنين فى سنة ٣٧ هـ ، إلا أن جابر بن زيد يعتبر مؤسس المذهب والفكر الأباضى . وبالرغم من أن أبا الشعثاء قضى معظم حياته العلمية فى البصرة وفى عصر سلطان الأمويين حيث كانت يد الحجاج الحديدية تبتطش بكل مناوى للدولة ،

الا أنه التزم برسالته الدينية العلمية وألف جابر موسوعته العلمية النفيسة التي عرفت باسم « ديوان جابر » وذلك في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ،

وقيل إن عبد الملك بن مروان وبنه استولوا على « ديوان جابر » وحرّموا دراسته ونشره على الناس . وروى أن العباسيين حرّموا على الناس استنساخه ، ووضعوه في مكتبة دار الحكمة في بغداد وكانوا يعلمون أنه من مفاخر المسلمين . وكان ديوانه العظيم ثروة علمية عظيمة ومن تراث الأباضية العلمي العظيم (١) .

ويروى أن النفّاث فرج بن نصر ، مؤسس النقاشية الأباضية في جبل نفوسة في ليبيا ، حصل على نسخة كاملة من ديوان جابر بن زيد وأتى بها إلى جبل نفوسة . لكنه دمر المخطوطة حتى لا يستطع مناوئوه الحصول عليها بسبب عداوته للإمام الرستمي في تاهرت ولعامله في جبل نفوسة (٢) .

- (١) انظر : الشماخي : كتاب السير ص ٧٠ « القاهرة ١٣٠١ هـ » ، محمد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير ج ٣ ص ١٣٨-١٤٩ « القاهرة ١٩٦٣ م » ، والسيابى السمائل : أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج ص ٥٩
(٢) انظر : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر : السيرة وأخبار الأئمة . ورقة ١٦ « مخطوطة في دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٩٠٣٠ ج ٢ » ، وعلى يحيى معمر : الأباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٩ « القاهرة ١٩٦٦ م » .

ولم يقتصر نشاط جابر بن زيد على التعليم والتأليف ، بل كان يعمل مجاهدا للرجوع بالدولة الإسلامية إلى نهج أبي بكر وعمر ، وعثمان في سني خلافته الأولى ، وعلى بن أبي طالب قبل التحكيم ،

وكان يحض تلاميذه على العمل على قيام الإمامة العادلة المبنية على الأصول الصحيحة للإسلام . ويدلنا على شجاعة جابر بن زيد وإيمانه القوى أن دروسه ودعوته كانت في البصرة حيث كان يسيطر عليها وعلى شرقي العالم الإسلامي منذ سنة ٧٥ هـ الحجاج بن يوسف الثقفي أيام حكم عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) والوليد ابن عبد الملك الأمويين (٨٦ - ٩٦ هـ) . وكان أخطر أعداء الأمويين في العراق الشيعة والخوارج والأباضية ، وإن كان الأباضية لم يظهروا العنف والشدة كما فعل العلويون والخوارج . وكان الحجاج بن يوسف الثقفي سلطانا في المشرق لا يعرف له سيديا غير الحاكم الأموي . وقد استخدم الحجاج كل أساليب القمع الشديدة مع الفرق المناوئة للحكم الأموي ، فالخلافة كانت المصدر الرئيسي للمنازعات والتفرقة بين المسلمين . وفي وسط هذا الجو المشحون بالإرهاب والشدة ، استمر جابر بن زيد في دروسه وتعاليمه .

وقد انجذب إليه أفراد من أسرة المهلب بن أبي صفرة رجلا ونساء مثل هند بنت المهلب ، كما أعجب به وبعلمه يزيد بن مسلم كاتب الحجاج .

وفي فترة نفى الحجاج الإمام أبا الشعثاء إلى وطنه عمان ،
وليس من شك في أن اتصال أهل عمان العلمي بالبصرة ، فضلا عن
اتصال أبناء العشائر والقبائل بعضهم ببعض ، كان من أكبر العوامل
التي ساعدت على انتشار علم ومبادئ جابر بن زيد بين مواطنيه
العمانيين . هذا بالإضافة إلى حلوله بينهم فترة من الزمن حين نفاه
الحجاج من البصرة إلى عمان ،

ولا نتبين من المصادر المختلفة متى نفى جابر بن زيد إلى عمان
ولا متى عاد ، لكن الثابت أن أبا الشعثاء عاد إلى البصرة مكملًا
لمذهبه الديني والسياسي ، محاولا القضاء على الملك المستبد الذي
لا يستند على القرآن والسنة والإجماع . وقد توفي جابر بن زيد في
البصرة في سنة ٩٣ هـ أو في سنة ٩٦ هـ أو في تاريخ بين هاتين السنتين
بعد أن انتفع بعلمه الكثيرون الذين حملوا رسالته من بعده (١) .

٢ - أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة والأباضية بعد وفاة جابر

بن زيد :

يعتبر بعض العلماء الأباضية المعاصرين في عمان أن الحلقة

(١) أنظر : السيابي السمانلي : إزالة الوعاء عن اتباع أبي الشعثاء . ص ١٣ - ٣٢

وما جاء فيها من مراجع .

الأولى في سلسلة المذهب الإباضي ، الصحابي الجليل عبد الله بن العباس (١) أستاذ جابر بن زيد .

أما الحلقة الثانية فهو أبو الشعثاء جابر بن زيد . وأما الحلقة الثالثة فهو الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التابعي الذي أخذ أكثر ما أخذ من العلم والفقه عن جابر بن زيد ، كما روى عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم مثل عائشة أم المؤمنين وانس ابن مالك وأبي هريرة وعبد الله بن العباس . ولعل الإباضية الذين اعتبروا عبد الله بن العباس الحلقة الأولى في سلسلة المذهب الإباضي ، استندوا إلى أن جابر بن زيد أخذ الكثير من علمه وروايته عن عبد الله بن العباس الذي أدرك النبي عليه الصلاة والسلام وسمع منه ، وسمعت الرواية عنه . ولم يكن عبد الله بن العباس من كبار المحدثين فقط وإنما كان من المفسرين ، فضلا عن أنه كان لغويا وأخباريا إذ ينسب إليه تفسير كثير من الألفاظ اللغوية فضلا عن رواية كثير من أخبار الأئمة القديمة السابقة للإسلام وكثير من أخبار الجاهلية . أما دور عبد الله بن العباس في الحياة السياسية فلمعرف أن عبد الله بن العباس لعب دورا في الشؤون السياسية في الدولة الإسلامية وخاصة في الفتنة التي وقعت بين علي بن أبي طالب وبين

معاوية بن أبي سفيان ؛ إذ أنه كان في أول الأمر مخلصا لعلی بن
أبي طالب مؤيدا له ولكنه فتر لعلی آخر الأمر .

وتوفي عبد الله بن العباس في مدينة الطائف أيام عبد الملك بن
مروان وذلك في سنة ٦٨ هـ .

والحق أنه حين وفاة الإمام أبي الشعثاء كانت الدعوة الأباضية
قد بدأت تزدهر وتجذب إليها الكثير من القبائل وأهل الولايات
الإسلامية ، وزاد في نجاحها ملاقاته دول العالم الإسلامي حينذاك من
تعنت كثير من ولاية الأمويين . وتكاثف العلماء العمانيون
والبصريون الأباضية من تلاميذ أبي الشعثاء وأصحابه في العمل على
انتصار الحركة الإسلامية الأباضية . ونجح تلميذ أبي الشعثاء
وزميله ، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء ، البصري ،
في حمل رسالة أبي الشعثاء الدينية والسياسية . وأخذ في تنظيم
الحركة الأباضية التي انتصرت في عمان — موطن أبي الشعثاء —
وقامت الإمامة فيها ، كما قامت في اليمن وحضرموت وفي شمال
أفريقية (١) .

(١) راجع عن أبي عبيدة مسلم : محمد علي دبور : المغرب الكبير ج ٣
ص ١٥٠ - ١٥٣ ، السيابي السعالي : إزالة الوغش عن اتباع أبي الشعثاء .
ص ٣٣ - ٣٩ ، الدكتور عوض خليفات نشأة الحركة الأباضية ص ١٠٣ - ١٢٦
(الأردن - عمان ١٩٧٨ م)

وقد قاسى أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة من سجن الحجاج هو وصديقه وزميله ضمام بن السائب الندبى العمانى أحد رواة الحديث عن الإمام جابر بن زيد، ولكن أبا عبيدة لم يفزع من قسوة سجن الحجاج إذ واصل رسالته الدينية والعملية بعد خروجه من السجن . وبرع أبو عبيدة مسلم فى تنظيم الدعوة الأباضية ، واعتمد على « حملة العلم » أو « الدعاة الأباضية » الذين كانوا يقومون بالدعوة وخاصة فى البلاد الواقعة فى أطراف الدولة الإسلامية بعيدا عن مركز الدولة ، كذلك اعتمد على التجار الأباضية الأغنياء فى تمويل الدعوة ، فضلا عن سائر الأباضية رجالا ونساء . واستغل أبو عبيدة فى دعوته ظروف الدولة الأموية آنذاك . إذ كان سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) على علاقة وثيقة مع أسرة المهلب بن أبى صفرة الذين كانوا يساندون أبا الشعثاء والحركة الأباضية . والحق أن علاقة الحجاج ابن يوسف الثقفى العدائية مع أسرة المهلب كان لها أكبر الأثر فى انضمام كثير من أفراد هذه الأسرة رجالا ونساء إلى الإمام أبى الشعثاء . وليس من شك فى أن الأباضية بدعوا يلتقطون أنفاسهم بعد وفاة الحجاج بن يوسف الثقفى فى أيام سليمان بن عبد الملك ، وازدادوا اتياحا حين تولى عمر بن العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) الخلافة .

والمعروف فى التاريخ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان حريصا على توحيد صفوف المسلمين والتزام عدل الإسلام ، ولم يكده يتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة حتى أرسل له الأباضية وفدأ من علمائهم وهم جعفر بن السماك ، وأبو الحر على بن الحصين العنبرى ، والختات بن الكاتب ، والحباب بن كليب ، وأبوسفيان قنبر البصرى ، وسالم بن ذكوان . وتذكر بعض المصادر الأباضية أن عبد الملك ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان أباضيا (١) .

وعلى أية حال فإن أبا عبدة مسلم بن أبى كريمة كان يراقب الأحوال فى الدولة الأموية ليعلم الإمامة الأباضية فى الولايات البعيدة عن مركز الدولة . وتذكر المصادر التى بين أيدينا مثل أنساب الأشراف للبلاذرى ، وتاريخ الطبرى ، والأغانى لأبى الفرج الأصبهاني ، وطبقات الأباضية للدرجيني ، وكتاب السير للشماخي ، وكشف الغمة للاذكوى ، أن الإمامة الأباضية فى حضرموت

(١) انظر : الدرجيني : طبقات الأباضية . ورقة ٩٩ (مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ١٢٥٦ ح ، ٧٢٦١٢ تاريخ تيمور) ، والشماخي كتاب السير ص ٧٩ - ٨٠ ، محمد على دبور : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ١٧٥ ، ص ١٨١ - ١٨٢ ، الدكتور عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ص ١٠٤ .

والذين قامت على يد عبد الله بن يحيى الكندى المشهور بطالب الحق
فى سنة ١٢٩ هـ (٧٤٦ م) ، وذلك بعد أن أرسل طالب الحق
إلى أبى عبيدة يخبره بظلم الولاة الأمويين . وكان أن أمره
أبو عبيدة بسرعة التحرك وخاصة أن الدولة الأموية كانت
تحتضر أيام مروان بن محمد . أما قائد طالب الحق فكان
أبو حمزة الشارى المختار بن عوف الأزدي العمانى الذى بعثه فى
موسم الحج من سنة ١٢٩ هـ للاستيلاء على الحجاز . وفعلا نجح
أبو حمزة مع جيشه من الأباضية فى دخول مكة بدون قتال فى
العاشر من ذى الحجة سنة ١٢٩ هـ ، وتابعوا نصرهم بالاستيلاء
على الطائف ثم المدينة ، لكن مروان بن محمد أرسل جيشا من
الشام بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية القيسى لقتال الأباضية
وانتصر هذا الجيش على أباضية المدينة بعد أن قتل منهم عددا
كبيرا ، ثم تابع الجيش مسيره إلى مكة واشتبك مع الأباضية فى
عام ١٣٠ هـ فى معركة ضارية قتل فيها أبو حمزة الشارى ،
وأبو الحر على بن الحصين فقيه الأباضية فى مكة ، وكذلك قتل
عدد غفير من الأباضية . أما الباقون من الأباضية فقد أسرعوا
للانضمام إلى طالب الحق الذى سار من صنعاء للقاء قائد الجيش
الشامى ، وبالقرب من مكة قتل الإمام طالب مع عدد كبير من
أتباعه فى سنة ١٣٠ هـ . ثم قضى على إمامة حضر موت واليمن على

يد الأمويين في أوائل السنة ١٣٢ هـ وعاد من بقي من الأباضية هناك إلى مرحلة الكتمان .

أما فيما يتعلق بأباضية شمال أفريقية فإنه يبدو من المصادر المختلفة أن دعوة الخوارج اختلطت في البداية مع الدعوة الأباضية التي نشطت على يد أبي عبيدة مسلم وتلاميذه من حملة العلم . ويبدو أن دعاة الأباضية الذين حلوا في أفريقية اختاروا أربعة رجال من شمال أفريقية ليعتقدهم في المذهب الأباضي على أيدي الفقهاء الأباضية في البصرة . وهؤلاء الأربعة هم أبو درار إسماعيل بن درار الغدامسى من غدامس جنوب طرابلس ، وعبد الرحمن بن رستم ، الفارسي الأصل ، من القيروان ، وعاصم السدراتي من سدراتة غربي أوراس ، وأبو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة جنوبي أفريقية (تونس الحالية) . وانضم إلى هؤلاء الأربعة في البصرة أبو الخطاب المعافري وهو عربي من اليمن .

وظل هؤلاء يتلقون العلم في البصرة خمس سنوات على يد أبي عبيدة ثم عادوا إلى أفريقية في سنة ١٤٠ هـ وسمى هؤلاء الخمسة في المصادر الأباضية « حملة العلم إلى المغرب » . وقد أمر الإمام أبو عبيدة أهل المغرب بتعيين أبي الخطاب المعافري إماما لهم وبتعيين إسماعيل بن درار الغدامسى قاضيا لهم .

وفي شمال أفريقيا بويغ أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري بالإمامة في سنة ١٤٠ هـ . في صياد بالقرب من طرابلس . وامتدت دولة أبي الخطاب المعافري فشملت طرابلس والقيروان وغرب وهران ، لكن أبا جعفر المنصور استطاع القضاء على هذه الدولة في سنة ١٤٤ هـ (١) . لكن قيام الدولة الرستمية على يد عبد الرحمن ابن رستم كان أكبر انتصار للدعوة الأباضية في جميع من الولايات الإسلامية عامة وفي شمال أفريقيا خاصة . وكان الإمام أبو الخطاب المعافري قد عين عبد الرحمن بن رستم قاضيا لطرابلس ، ثم عينه والياً على القيروان في سنة ١٤١ هـ بعد أن نجح في احتلالها .

واستطاع ابن رستم أن يرد جيوش ولاية العباسيين في شمال أفريقية بعد أن ساندته البربر الأباضية . واتخذ عبد الرحمن بن رستم مدينة تاهرت مقراً له ولأتباعه منذ سنة ١٤٤ هـ ثم أعلنت

(١) انظر : أبو زكريا بن أبي بكر : السيرة : ورقة ٧ و ٩ ، الدرجيني :

طبقات الأباضية : ورقة ٨ و ١٠ ، الشماخي السير ص ١٢٤-١٢٦ ، محمد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٤٣٢-٤٣٣ ، ج ٣ ص ٢٠٣-٢٤١ ، السيابي الساملي : أصلق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج : ص ٤٤-٤٥ ، السيابي الساملي : إزالة الرعشاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٣٦-٣٩ ، الدكتور عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية . ص ١٣٣-١٦٦ .

(٥٢ - فجر الإسلام)

الإمامة في تاهرت والدولة الرستمية منذ سنة ١٦٠ هـ . وعاشت تلك الدولة الأباضية حتى عام ٢٩٦ هـ ، حين نجح أبو عبد الله الشيعي الداعي الفاطمي في القضاء عليها (١) .

وبعد فهذا مختصر وجيز عن فقه وعلم وعمل الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، التميمي بالولاء ، الذي كان زنجياً أسود اللون أعور فقيراً ، والذي كان يقتات بعمل السعف يصنع منه القفاف فلقب بالقفاف ، ولكنه كان سيد البيض بعلمه وعقله وفقهه ، وكانت وفاته في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري . ويعتبر أبو عبيدة مسلم مرجع الأباضية بعد جابر بن زيد والحلقة الثالثة لسلسلة المذهب الأباضي والذي نجح بفضل تنظيماته وعلمه وشجاعته وبمساعدة عمان والبصرة وحضر موت واليمن وشمال أفريقيا في إقامة الدول الأباضية وفي نشر المذهب الأباضي في أصقاع مختلفة من العالم الإسلامي (٢) .

(١) فيما يختص بالدولة الرستمية انظر ما جاء عنها في تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ، ٣ محمد علي دبور ، والدكتور عوض خليفات نشأة الحركة الأباضية ص ١٦٤-١٦٨ ، زامباور : معجم الأنساب والأمراء الحاكمة في التاريخ الإسلامي ج ١ ص ١٠٠-١٠١ (مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥١ م) .

(٢) أنظر : محمد علي دبور : المغرب الكبير ج ٣ ص ١٥٠ - ١٥٣ ، السبائي السبائي : إزالة الوغشاء عن اتباع أبي الشعثاء . ص ٣٣ - ٣٩ .

٣ - الإمام الربيع بن حبيب وحملة العلم إلى عمان :

يستند الأباضية الآن في الفقه على مسند الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي العماني البصري ^١ وكان الربيع من أهل الباطنة من عُمان ثم خرج إلى البصرة لطلب العلم ، وكانت البصرة آنذاك عمانية برجالها الأفاضل العلماء . وكان الربيع شابا حين التقى بالإمام جابر بن زيد ، وكان يقول : أخذت الفقه من ثلاثة : « أبي عبيدة وأبي نوح وضام بن السائب الأزدي العماني » . وقضى الربيع بن حبيب معظم حياته في البصرة طالبا ومطلوبا ثم عاد في أخريات حياته إلى وطنه في عمان . وكانت وفاته في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري . وفي البصرة عكف الإمام الربيع بن حبيب على كتابة مسنده . وترجع أهمية مسنده إلى ورع الإمام الربيع وعلمه وفقهه ، فضلا عن أنه كان قريب الإسناد . ولا يغيب عن بالنا أن هذا الإنجاز العلمي العظيم تم وسط جو الخوف والإرهاب الذي كان بشيعة أمراء بني أمية أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي (١) . وقد نشر « الجامع الصحيح » للربيع بن حبيب في القدس في سنة

(١) انظر السيابي السمائي : أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج

ص ٢١ ، السيابي السمائي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٢٩ ،

١٣٨١ هـ . وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة « مسند الربيع » للربيع بن حبيب تحت رقم ٢١٥٨٢ ب . وقد رتب الجامع الصحيح أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (١) من علماء أفريقيا في القرن السادس الهجري .

ومن أهم من حمل العلم عن الإمام الربيع بن حبيب من البصرة إلى عثمان ، خمسة علماء عمانيون كان لهم الفضل الأكبر في ازدهار الحياة العلمية في فجر الإسلام في عمان وهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزواني ، ومثير بن النير الجعلاني ، وموسى بن أبي جابر الأزكوى ، ومحبوب بن الرحيل ، ومحمد بن المعلى الكندى (٢) .

٤ - الأباضية وعبد الله بن أباض :

لم ينتسب الأباضية إلى أى شخصية من فقهاءهم قبل عبد الله بن أباض الذى عاصر معاوية بن أبى سفيان (٤٠ - ٦١ هـ) مؤسس الدولة الأموية الأول ، وعبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) مؤسس الدولة الأموية الثانى . وكان الأباضية قبل انسابهم إلى

(١) للورجلاني كتاب « الدليل والبرهان » طبعة حجرية المطبعة البارونية

(٣) أجزاء . القاهرة ١٣٠٦ هـ .

(٢) انظر : أبو هلال السيابى الساملى : إزالة الوغش عن اتباع أبى الششاء .

عبدالله بن أباض يصفون أنفسهم باسم « الجماعة المؤمنة المسلمة » أو « المسلمين » أو « جماعة المسلمين » أو « أهل الدعوة » . وقد أوردت المصادر المختلفة والمراجع الحديثة نسب عبدالله بن أباض واختلف بعضها في سلسلة النسب (١) . ولانعرف سنة مولد عبدالله ابن أباض ولا سنة وفاته ، وإنما المعروف أن عبدالله بن أباض ينسب إلى قبيلة تميم التي كانت من أهم قبائل البصرة ، وكان عبدالله بن أباض في منعة وقوة من عشيرته بنى تميم الذين يسميهم البعض باسم « الحجر الحشن » (٢) . والمعروف أن عبدالله بن أباض عاصر الإمام جابر بن زيد وأخذ عنه ، كما أنه عاصر أحداث الدولة الأموية منذ معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الملك بن مروان . وفي كتاب عبدالله ابن أباض إلى عبد الملك بن مروان يتبين لنا شجاعته في الحق وقوته في المناظرة والمجادلة ، كما نعرف منه آراء هذه الجماعة المسلمة المؤمنة التي سميت فيما بعد باسم « الأباضية » ، وذلك فيما يتعلق بالتطورات الدينية والسياسية التي حدثت منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى زمن عبد الملك بن مروان ، فضلا عن موقفهم

(١) من المراجع الحديثة التي أفاضت في ترجمة عبدالله بن أباض : خير الدين

الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) على سبيل المثال : انظر : السيابي السمائي : إزالة الوعشاء عن اتباع

أبي الشفاء . ص ٧٦ .

من الخوارج . وقد استطاع عبدالله بن أباض في كتابه لعبد الملك بن مروان أن يدحض القول بأن جماعته من الخوارج أو من متطرفي الخوارج (١) .

والمعروف أن اسم « الأباضية » اسم للتمييز وليس للتشريع ، إذ أن مؤسس المذهب والفكر الأباضي هو جابر بن زيد ، لكن عبدالله بن أباض هو الذي استطاع أن يدافع عن آراء جماعته علنا . ومع ذلك فقد اعتبرت بعض المصادر عبدالله بن أباض خارجيا ، واعتبره آخرون من غلاة الخوارج .

ومن مختلف المصادر والمراجع نعرف أن المذهب الأباضي من أول وأقدم المذاهب الإسلامية نشأة ، فلإمامه جابر بن زيد . ولم يكن عبدالله بن أباض من الشيوخ المؤسسين للمذهب كما أسلفنا لكن تسميتهم باسم الأباضية جاءت من مخالفتهم ، إذ سمي الأمويون « الأباضية » بهذا الاسم وأدخلوهم في فرق الخوارج من قبيل التجريح .

(١) أنظر كتاب عبدالله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان ، أو نصائحه إلى عبد الملك كما تعرفها المصادر الأباضية في : البرادى : الجواهر المنتقاة ص ١٥٦ - ١٦٧ ، السيابى السماثل : إزالة الومعثاء عن اتباع أنى الشمع . ص ٨٦ - ١٠١ (مع الشرح والتعليق) .

ولم يقل الأباضية في بداية الأمر تسميتهم بهذا الاسم ولكنهم قبلوه منذ خلافة عمر بن عبد العزيز ٩٩ - ١٠١ هـ (١) وبدأ اسم الأباضية يظهر في كتاباتهم بعد ذلك ،

وإذا كانت المصادر قد اختلفت حول شخصية عبد الله بن أباض ، فإنها اختلفت أيضا في اسمه ونسبته الصحيحة ، فذكر البعض أن الأباضية أصحاب أباض بن عمرو (٢) .

أما فتح همزة « أباض » أو كسرها فيختلف فيها الأباضية أنفسهم . ففي عُمان - موطن أئمة وعلماء الأباضية - يفتحون الهمزة ، وبذلك تصبح النسبة إلى أباض « الأباضية » . وفي شمال أفريقيا يكسرون الهمزة وتصبح النسبة إلى أباض « الإباضية » . ونرى المقرئ (٣) يذكر أن الأباضية هم أتباع « عبد الله بن أباض من بنى مقاعس واسمه الحارث بن عمرو ، ويقال بل ينسبون إلى أباض بضم الهمزة ، وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد ابن عامر » .

(١) انظر : السياب الساملي : ازالة الوعشاء عن اتباع أبي الششاء ص ٤٩ - ٥٠ ، محمد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) الملطي الشافعي : كتاب التنبيه والرد . ص ٥٢

(٣) المقرئ . الخطط ج ٢ ص ٣٥٥ ، وانظر مادة « أباض » في ياقوت :

معجم البلدان ج ١ ص ٦٧ (الطبعة الأولى - مطبعة السعادة - مصر ١٣٢٣ هـ /

(١٩٠٦ م)

كذلك تذكر بعض المصادر مثل الشهر ستاني (١) والمقريري (٢) أن خروج عبد الله بن أباض كان في زمن مروان بن محمد الأموي . (١٢٧ - ١٣٢ هـ) .

وتشير المصادر إلى اشتراك عبد الله بن أباض في أمور الدولة الإسلامية حين خرج هو وجميع فرق المحكمة للدفاع عن مكة مع عبد الله بن الزبير ضد جيش يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ ، ثم رجوعه إلى البصرة بعد أن أمنت مكة . ويتبين من رسالة ابن أباض إلى عبد الملك بن مروان أنه أدرك معاوية بن أبي سفيان وأنه أنكر عليه أشياء ذكرها في رسالته . لكن معظم المصادر لا تشير إلى عبد الله بن أباض بعد عبد الملك بن مروان .

(ب) قيام الإمامة في عمان :

ازدهرت عمان منذ فجر الإسلام بعلمائها الذين حرصوا على إقامة شعائر الإسلام وتطبيق الإسلام علما وعملا . واختار الأباضية طوال تاريخهم طريق الاعتدال وبعثوا عن الغلو والتطرف ، وأكد فقهاؤهم بالعلم والعمل أن مذهبهم هو الإسلام القائم على القرآن الكريم ، وعلى الأحاديث النبوية والسنة الشريفة

(١) الملل والنحل ص ٢٤٤ . (٢) الشهر ستاني (١) ص ٧٣ . (٣) الشهر ستاني (٢) ص ٣٥٥ . (٤) الشهر ستاني (٣) ص ٣٥٥ .

وعلى الإجماع . واتصلت عمان بالبصرة — منذ أن اختطها عمر بن الخطاب — اتصالاً وثيقاً .

وكانت البصرة مقراً للعلماء الأعلام من أهل عمان حتى كادت البصرة أن تكون عمانية كما مر بنا . ومر بنا بعض من آراء الأئمة الأباضية فيما يتعلق بالتطورات السياسية والدينية منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإجماعهم على ضرورة إقامة الإمامة القائمة على الإسلام الصحيح .

وبدأ الإمام جابر بن زيد في وضع أسس المذهب والفكر الأباضي دينياً وسياسياً محاولاً القضاء على الملك المستبد الذي لا يستند على القرآن والسنة والإجماع . وحين توفي جابر بن زيد حمل تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري رسالته الدينية والسياسية . ومر بنا طرف من تنظيمه للحركة الأباضية التي انتصرت في عمان — موطن الإمام أبي الشعثاء جابر ابن زيد — وتبع ذلك قيام الإمامة فيها ، كما قامت الإمامة في اليمن وحضرموت ، وفي شمال أفريقية .

والحق أن المذهب الأباضي في عمان ارتبط بكفاح عمان من أجل استقلالها . وحاول العُمانيون الاستقلال عن الدولة الأموية ومن بعدها العباسية لأنهم رأوا أن حكام هاتين الدولتين بعدوا

عن الإسلام الصحيح . وسبقت عمان بذلك بقية الدول الإسلامية التي استقلت بعد ذلك عن الخلافة الإسلامية استقلالا ذاتيا أرقاما لظروف وأسباب مختلفة . وطبيعى أن الدولة الأموية ومن بعدها العباسية لم تقف متفرجة أمام استقلال عمان وغيرها من دول العالم الإسلامى شرقا وغربا ، بل كانت تحاول السيطرة على الدول المستقلة وإدخالها تحت حكمها كلما واتها الفرصة المناسبة ، والمعروف أن أمر عُمان صار بيد أهلها بعد افتراق الصحابة وانتهاء حكم الخلفاء الراشدين ، ولم يكن لمعاوية ولا لمن أتى بعده سلطان فى عمان حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق (١) . وجاهد الحجاج لاستعادة عُمان وإدخالها تحت حكم الدولة الأموية ، وكان ذلك إبان حكم سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجندى .

وكلما أرسل إليها الحجاج جيشا هزمه ، وجاهد الحجاج لاستعادة عمان عن طريق البر والبحر إلى أن نجح فى النهاية بعد أن تكبدت جيوشه الخسائر الفادحة . أما سليمان وسعيد فلم يقبلا الهزيمة بعد كفاحهما المرير فى سبيل استقلال عمان وبعد أن نجحا قبل ذلك فى رد جيوش الحجاج المتعاقبة ، ولذلك آثرا الخروج

(١) انظر . السامى . تحفة الأعيان . ج ١ ص ٥٧

مع ذراريهما ومن لحق بهما من قومهما إلى بلد من بلدان الزنج في
أفريقية (١) .

ولكن الملاحظ أنه بعد وفاة الوليد بن عبد الملك والحجاج
ابن يوسف بدأت قبضة الأمويين تخف عن عمان وبدأ العمانيون
يمارسون استقلالهم الداخلى . إذ ولى سايان بن عبد الملك
(٩٦-٩٩ هـ) يزيد بن المهلب على العراق والخراسان ، واستعمل
يزيد أخاه زيادا على عمان ، وبذلك أصبح أمر عمان في حقيقة
الأمر بيد أبنائها . وفي خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ)
ولى عامل العراق ، عدى بن أرطاة الفزارى ، على عُمان عمالا
لم يقبلهم العمانيون وكتبوا بذلك إلى عمر بن عبد العزيز فاستعمل
عليهم عمر بن عبد الله الأنصارى .

وكان عمر بن عبد الله حسن السيرة فى عُمان ، فضلا عن
أنه ترك مقاليد الأمور بيد العمانيين . وحين توفى عمر بن
عبد العزيز ، خرج واليها عمر بن عبد الله الأنصارى من عُمان
وسلم مقاليد الأمور لزياد بن المهلب بعد أن قال له : وهذه
البلاد بلاد قومك فشأنك بها « (٢)

(١) السامى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٧ - ٥٩

(٢) السامى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٩

وهكذا ظلت عُمان في أيدي أبنائها طوال الحكم الأموي باستثناء الفترة التي ولى فيها الحجاج بن يوسف العراق والتي أدخل فيها عُمان تحت حكم الأمويين بعد أن تكبدت جيوشه الخسائر الفادحة .

وحين قامت الدولة العباسية ، ولى أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر المنصور على العراق : فأرسل أبو جعفر جناح بن عباد بن قيس بن عمرو الهنائي واليا على عمان ؛ وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح في صحار . لكن المنصور مالبث أن عزله وولى ابنه محمد بن جناح .

وقد ترك هذا الوالى مقاليد الأمور بيد العمانيين حتى صارت عمان لهم ، وعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندى بن مسعود بن جعفر ابن جلندى وكان ذلك كما يقول العمانيون : « سببا لظهور الإسلام وقوة شوكته » (١) ولم يكن الجلندى بن مسعود بعيدا عن الأحداث الحارية حينذاك فقد كان ممن حضر بيعة عبدالله بن يحيى طالب الحق . وإذا كان الجلندى قد ولى الإمامة سنة ١٣١هـ كما تذكر بعض الروايات فيكون معنى ذلك أن إمامته كانت في نهاية الدولة الأموية وقبيل قيام العباسيين . أما إذا كانت بداية

(١) السالمى : تحفة الأعيان ، ج ١ ص ٦٦ .

(٢) السالمى : تحفة الأعيان ، ج ١ ص ٦٦ .

إمامته سنة ١٣٢ هـ كما قيل في روايات أخرى فتكون إمامته بعد قيام الدولة العباسية . لكن العباسيين جاهدوا لاستعادة عمان ووقعت حروب ضارية بين الحيوش العباسية وعلى رأسها خازم ابن خزيمة الخراساني ، وبين الإمام الجلندي بن مسعود وجيوشه ، وجاءت النهاية باستشهاد الجلندي وأصحابه في سنة ١٣٣ هـ أو سنة ١٣٤ هـ .

وعاصر إمامة الجلندي عدد كبير من علماء وفقهاء الأباضية مثل الربيع بن حبيب وشبيب بن عطية العماني ، وموسى بن أبي جابر الأزكوي (الأزكاني) ، وبشير بن المنذر النزواني ، ومنير ابن النير الجعلاني . وكان الجلندي من أفضل أئمة المسلمين في عمان فأظهر الحق . وعمل به « وأخذ الدولة من يد أهل الجور وبرئ ، من الجبابة » .

ويذكر المؤرخون العمانيون أن عُمان بقيت بعد استشهاده حوالي أربعة وأربعين سنة « في يد الجبابة من بني الجلندي متقادين لأمر بني العباس إلى سنة ١٧٧ هـ ثم رجعت الدولة للمسلمين » (١) . وفي سنة ١٧٧ هـ اتفق العلماء والفقهاء الأباضية وعلى رأسهم موسى بن أبي جابر الأزكوي ، على إعلان إمامة

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٧٤

(٢) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٧٤

محمد بن عبد الله بن أبي عفان ، وكان من اليعحمد إلا أنه نشأ في العراق . لكن محمد بن أبي عفان أساء السيرة فاعتبره العثمانيون جبّارا وعزلوه في النصف من ذي للقعدة من سنة ١٧٩ هـ بعد أن حكم سنتين وشهرا . واتفق المسلمون في عمان على إعلان إمامة الوارث بن كعب الخروصي وهو أرل إمام من بني خروص وهم من اليعحمد . (١) وحاول العباسيون استرجاع عُمان فأرسل هارون الرشيد جيشا بقيادة عيسى بن جعفر بن المنصور — أخ السيدة زبيدة — لهذا الغرض ولكن الجيش العباسي هزم شر هزيمة وقتل عيسى بن جعفر . وظلت إمامة الوارث بن كعب أكثر من اثنتي عشرة سنة . وحين توفي سنة ١٩٢ هـ بايع أهل عمان غسان بن عبد الله اليعمدي بالإمامة . وكان مقر الإمامة في نزوى التي سميت أيام إمامة غسان بن عبد الله « بيضة الإسلام » وكانت قبل ذلك تسمى تحت ملك العرب « (٢) وكانت إمامة غسان خمس عشرة سنة وبضعة أشهر ، ولما توفي ببيع بالإمامة عبد الملك بن حميد في سنة ٢٠٧ هـ على قول أو في سنة ٢٠٨ هـ على قول آخر . وعبد الملك بن حميد من بني علي بن سودة بن علي بن عمرو بن عامر ماء السماء الأزدي .

(١) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨٥ - ٨٦

(٢) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٤

وهكذا توالى حكم الأئمة في عمان في فجر الإسلام. وكان هناك « بيت للمشورة » يجتمع فيه أولو العلم والرأى فيمن يقدمونه إماما . وأخذت عمان تتقدم وتزدهر في فجر الإسلام وخاصة في عهد الأئمة الصالحين ، وبعد أن أمنت استقلالها . وأصبحت عُمان خير دار في الإسلام ، وكان للأباضية في عمان أثر كبير في استقلالها وازدهارها ، الا فيما ندر ، بل إن حكم العثمانيين في العصر الحديث لم يمتد إليها كما امتد إلى غيرها في الأقطار العربية الإسلامية . وساعد ذلك الازدهار والاستقلال على أن تقوم عمان بدور مهم رئيسي في العالم العربي الإسلامي الحديث بعد أن صارت أكبر دولة بحرية في تاريخنا العربي الحديث .

المرأة المسلمة في عمان

للتسعفا المصادر التي تحت أيدينا بالحديث عن المرأة العمانية المسلمة . ولكننا نعلم كيف أن الإسلام اهتم بالمرأة والأسرة اهتماما كبيرا . وأصبح للمرأة المسلمة مركز ممتاز لم ترق إليه المرأة الغربية إلا في العصر الحديث ، بل إن المرأة في بعض المجتمعات الغربية لم تصل للآن إلى الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة .

وفي بعض المجتمعات الإسلامية ، نرى المجتمع وليس الدين يسلب المرأة حقوقها أو بعضها ، لكن في مجتمع حرص على تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا دقيقا لا بد وأن للمرأة فيه مركزا ممتازا .

وقد ورد في بعض الروايات أن نسوة من نساء أهل عمان أستأذن على السيدة عائشة رضي الله عنها فأذنت لهن ، فدخلن عليها وسلمن عليها . ثم قالت من أنتن ؟ فقلن : من أهل عمان ، فقالت لهن . لقد سمعت حبيبي عليه السلام يقول : ليكثرن رواد حوضي من أهل عمان (١) .

وقد لاحظنا أن تاريخ عمان الإسلامي ملئ بوصايا الائمة
لعمالمهم وصايا طويلة مفيدة تحث على اتباع القرآن والسنة وآثار
أئمة الهدى ، فضلا عن وصايا علماء وفقهاء الدين لملوكهم
وحكامهم . ولم تغفل كثير من تلك الوصايا والنصائح الحث
على العناية بالنساء والنظر في أمورهن والذب عنهن . وكان يشار
إلى الحاكم الفاسق بأنه لا يذب عن الحرم .

والحق أن النساء في عُمان تمتعن بحقوقهن التي منحها الإسلام
للمرأة . وهذا ليس بغريب في مجتمع قام على أسس الإسلام
الصحيح . وقد أدرك الغربيون من الرحالة وغيرهم في العصر
الحديث أن المرأة في عُمان تتميز عن أختها في سائر الأقطار
العربية الإسلامية التي سلبت المرأة حريتها وحقوقها أو انتقصت
منها . إذ شاركت المرأة العمانية في نشاط المجتمع وفي النواحي
السياسية ، بل إنه كان من نساء الأسر الحاكمة في العصر الحديث
من يقمن بالوصاية على الحكم (١) .

(١) Boehm (Sir Edgar Collins) : The Persian Gulf and South Sea Isles. p. ٨٢٢ ، (London 1904)

أهل الذمة في عمان

بعد أن دخلت عمان في الإسلام لا تسمع عن الوثنية أو المجوسية فيها ، ولكن بقي فيها بعض المسيحيين واليهود ، وأصبح هؤلاء بحكم معيشتهم في بلد إسلامي « أهل ذمة » .

والذمة في اللغة العربية هي العهد والامان . والمتفقون بالعهد أو الأمان يسمون الذميين أو أهل الذمة ، وفي حياة الرسول عليه الصلاة والسلام كان هناك أهل ذمة من عرب شبه الجزيرة مثل أهل نجران ، ومثل قبائل بكر وتغلب ، وأهل دومة الجندل ، وأهل أيلة ، والغساسنة والمناذرة . وكان هؤلاء العرب الذميون أو المعاهدون ، يتمتعون بقسط وافر من التسامح الديني كما تشهد بذلك أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، لأهل الذمة (١) .

وحين أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام أبا زيد وعمرو ابن للعاص إلى عمان طلب منهما أخذ الصدقة من المسلمين

(١) انظر : أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٨٦ و ١٤٩ (القاهرة ١٣٤٦ هـ) وابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٣٤ ، ٥٥٠ - ٥٦ (القاهرة ١٣٥٨ هـ) ، وابن هشام : سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ج ٢ ص ٣٣٨ (القاهرة ١٣٤٦ هـ) .

والجزية من الجوس (١) . وجاء ذكر أهل الذمة في مناسبات مختلفة في تاريخ عمان فيذكر البلاذري (٢) «ولم تزل عمان مستقيمة الأمر يؤدى أهلها صدقات أموالها ويؤخذ ممن بها من الذمة جزية رعوسهم» .

وقد وعى أهل عمان وحكامها معنى الجزية وجباية الصدقات ، إذ جاء في السير العمانية التأكيد على أن جباية الجزية تستتبع الحماية ، ومن ذلك النص الآتى : « وفي آثار أسلافنا أنهم قالوا : ولا نجبي جزية ولا صدقة حتى نكون على الناس حكاما ، ولا نبعث جباة يمجون أرضا لم نحمها ، ولم يجر فيها حكمنا ، ولا نمنع من جبيننا من الظلم والعدوان » (٣) .

والحق أن ارتباط الجزية بالحماية عرف منذ أن فرضت الجزية على أهل الذمة ، ومن ذلك مثلاً ما جاء عن خالد بن الوليد في المعاهدة التي أبرمها مع بعض أهالي القرية المجاورة للحيرة « فلأن منعناكم فلنا الجزية والافلا » (٤) .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٨٦ ، والطبرى : تاريخ الأمم والملوك

ج ٣ ص ١٠٣ .

(٢) فتوح البلدان ص ٨٤ .

(٣) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢١٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٠٥٠ (طبعة ليدن)

كذلك جاء في وصية أحد أئمة عمان في القرن الثالث الهجري وهو الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧-٢٧٢هـ) لأحد ولاته ، ما يتعلق بجزية أهل الذمة وحسن معاملتهم ومن يعفى منها فذكر « وليس على الصبيان والشيخ الفاني ولا على الفقراء ولا على الزمنا ولا على النساء ولا على العبيد ولا الإماء شيء (١) » .

وكان يحق للإمام إذا خان « أهل الذمة » العهد أن يحاربهم وأن يردعهم حتى ينتصر عليهم وحتى لا تكون فتنة . وكانت تحدث أحيانا بعض المشاغبات من أهل الذمة شأنهم في ذلك شأن الأقليات في البلاد المختلفة . ونسمع في زمن الإمام الصلت بن مالك الخروصي أن النصاري خانت العهد ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين وهمجوا على سقطرى (٢) وقتلوا وإلى الإمام ومن معه وسلموا ونهبوا . فأرسلت امرأة من سقطرى بقصيدة إلى الإمام تذكر له ما وقع من النصاري بسقطرى وتستنصره ، فاستجاب الإمام وأرسل الجيوش والمراكب إلى سقطرى وعادوا ظافرين بعد أن نصرهم الله على أهل الفتنة (٣) .

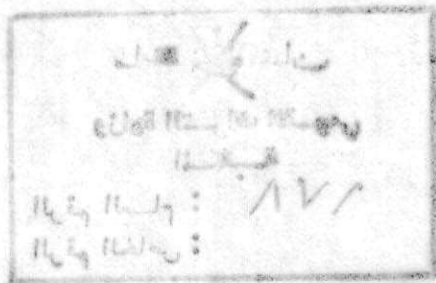
(١) السالمى : تحفة الأعيان ص ١٤٩ .

(٢) سقطرى . جزيرة في جنوب عمان يفصل بينهما بحر الحبشة .

(٣) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢٧-١٤٢ .

كذلك نسمع عن اليهود منذ فجر الإسلام في عمان وخاصة في صحار (١) وظل معظم اليهود في عمان إلى العصر الحديث يعيشون في ميناء صحار .

ويطلق الأهالي العمانيون عليهم اسم « أبناء سارة » . ولاحظ الرحالة الأوروبيون في العصر الحديث أن اليهود في عمان يتمتعون بالحرية الشخصية والدينية على عكس اليهود في اليمن أو في إيران (٢) .



(١) السالمى : حفة الأعيان . ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤

Wellested (J.R.) : Travels in Arabia. vol. I (٢)
pp. 21 - 22 (London. Two vols. 1838).

الفهرس

الصفحة

٣	تقديم الكتاب
٥	مقدمة الكتاب
٨	جغرافية عمان وأثرها على تاريخها
١٠	القبائل العربية في عمان
١٢	اسم عمان
١٣	الشعوب العربية البائدة في عمان
١٤	ديانة عمان قبل الإسلام
١٩	الدعوة إلى الإسلام في عمان
٢٢	استجابة ماكنى عمان لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٥	وفود أزد عمان
	أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل إسلام
٢٦	أهل عمان
٢٨	عمرو بن العاص وأهل عمان
٣٠	أهل عمان وردة العرب
٣٤	اشتراك عمان في الفتوحات الإسلامية
٣٧	عمان والحركة العلمية في فجر الإسلام
٤١	الأباضية في عمان

(١) مشاهير الأئمة الأباضية في فجر الإسلام ٥٣

١ - الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد ٥٣

٢ - أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة والأباضية بعد وفاة

جابر بن زيد ٥٨

٣ - الإمام الربيع بن حبيب وحملة العلم إلى عمان ٦٧

٤ - الأباضية وعبد الله بن أباض ٦٨

(ب) قيام الإمامة في عمان ٧٢

المرأة المسلمة في عمان ٨٠

أهل الذمة في عمان ٨٢

٦٦ - ...

٥٦ - ...

٦٦ - ...

٦٦ - ...

٨٢ - ...

٥٦ - رقم الإيداع بدار الكتب ٧٤١٥ لسنة ١٩٧٩

٦٦ - ...

٧٢ - ...

١٣ - مطابع سجل العرب